كنيسة مارجرجس - سبورتنج
صوت الراعي

شرح مبسط للإيمان المسيحي
بحسب الآباء (٤)

تجسد الابن الوحيد لأجلنا

تقديم ومراجعة د/ وهيب قزمان
دكتوراة في العلوم اللاهوتية

كنيسة مارجرجس – سبورتنج

صوت الراعي

شرح مبسط للإيمان المسيحي بحسب الآباء (٤)

تجسد الابن الوحيد لأجلنا

هدف هذه السلسلة :

البعض يتحمس لدراسة العقيدة وتعاليم الآباء لكنه لا يعرف من أين يبدأ ويشعر بصعوبة ما يقرأه وهذه السلسلة تهدف لتشجيع الجميع على الاستفادة من كتابات آباء الكنيسة وفهم الإيمان الأرثوذكسي كما جاء في الإنجيل وشرحه آباء الكنيسة. وقد قصدنا وضع كتابات الآباء بين قوسين [ ] وبخط متميز لنعتاد على أسلوب الآباء، وقدمنا شرح مبسط لتوضيح المعنى.

الكتاب : **تجسد الابن الوحيد لأجلنا**

الناشر : **صوت الراعي – كنيسة مارجرجس – سبورتنج**

مراجعة وتقديم : **دكتور/ وهيب قزمان** – دكتوراة في العلوم اللاهوتية من جامعة درهام بإنجلترا والباحث في المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة.

الطبعة الأولى : **يونيو ٢٠١٧**

طُبع بمؤسسة لينك برس

مؤسسة لينك برس للطباعة

٩ شارع ١١٥ من شارع مسجد الوطنية – خلف حديقة بدر جسر السويس – السلام – القاهرة
تليفون : ٢١٨٦٢٥٨١ – ٢١٨٦٢٦١٢ فاكس : ٢١٨٦٢٦١٢ موبايل : ٠١٠٠٦٦٧٤٨٢٩

رقم الإيداع بدار الكتب : **٢٠١٧/١٠٣٨٦**

قداسة البابا المعظم / الأنبا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

أن مجئ الله واتخاذه جسداً وحياته بين الناس قد أتى بالميلاد الجديد للبشرية. لذلك قسم الناس التاريخ لما قبل ميلاد الرب وما بعده.

بعض الإخوة البروتستانت عند شرحهم للعقيدة يركزون على الصليب والفداء ويعتبرون أن هدف الخلاص هو غفران الخطية فقط، أما نحن الأرثوذكس فنركز على الخلاص الإيجابي وهو الاتحاد بالله.

يركز بعض الإخوة البروتستانت على الصليب ولذلك يركزون على الخطية والخلاص منها، بينما نحن الأرثوذكس نركز على الإيجابيات التي صنعها لنا المسيح من تبني وسكنى الله فينا واتحاده بنا[1].

وفي الحقيقة أن التركيز على الخطية يُشعر الإنسان بعجزه وبعده عن الله ويجعله يجاهد بقوته وحده. بينما التركيز على الجانب الإيجابي يُشعرنا بنعمة الله الغنية وقوته التي تساعدنا فهو يسكن

---

[1] للمزيد حول موضوع الاتحاد بالله برجاء الرجوع لكتاب " اتحادنا بالمسيح " اصدار صوت الراعي - مراجعة د/ وهيب قزمان - دكتوراة في العلوم اللاهوتية.

في نفسه ويعلن كل فساد وكل شهوة رديئة وكل شيطان. والله مستعد أن يعمل معنا بكل قوته، كل ما علينا هو أن نطلب منه أن يتدخل. فالله رقيق لا يفرض نفسه علينا ولا يلغي شخصيتنا وإرادتنا بل يحترمها جداً وينتظر منا أن نتفق مع إرادته فيعمل بقوته العظيمة معنا.

الفهم الأرثوذكسي يعتبر أن الخلاص بدأ بالتجسد، فبمجرد قبول السيدة العذراء بشارة الملاك، اتحدت الطبيعة الإلهية مع الطبيعة البشرية في المسيح وبدأ شفاء الطبيعة البشرية. فلقد اتخذ الرب يسوع جسداً مشابهاً لنا بالضبط بكل غرائزه ولكن الرب يسوع غلب كل الضعفات والغرائز ولم يصنع ولا خطية واحدة. لقد حقق الخلاص في جسده أولاً، ثم باتحاده بنا يعطينا نصرته.

ومن المعروف أن البابا ديسقورس قد قرأ كتاب " تجسد الابن الوحيد " للقديس كيرلس الكبير في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ لأنه يوضح إيمان كنيستنا بالمسيح الواحد فلا يصح أن نقسم المسيح لإله وإنسان. وقد رفضت كنيستنا القبطية طومس لاون لأنه يقول " الإله يعمل المعجزات والإنسان يتلقى الإهانات ".

د/ وهيب قزمان

ما معنى كلمة " المسيح " ؟

يقول القديس كيرلس [في القديم حسب مسرة الله مُسح البعض بالزيت، وكانت المسحة علامة لهم على **المملكة**. والأنبياء أيضاً مُسحوا روحياً بالروح القدس ولذلك دُعوا " **مسحاء** "، لأن داود النبي المبارك ينشد معبراً عن الله نفسه فيقول " لا تمسوا **مسحائي** ولا تؤذوا أنبيائي"(مز ١٠٥ : ١٥)..

أن ما نريد أن نقوله بخصوص **معنى كلمة " المسيح** " هو ما سيأتي: بسبب تعدي آدم " ملكت الخطية على الكل "(رو٥:١٤). وفارق

الروح القدس **الطبيعة البشرية التي صارت مريضة في كل البشر**. ولكي تعود الطبيعة البشرية من جديد إلى حالتها الأولى احتاجت إلى رحمة الله، لكي تُحسب بموجب رحمة الله مستحقة الروح القدس. لذلك **صار الابن الوحيد** كلمة الله **إنساناً**.. حتى فيه وحده **تتوج** الطبيعة البشرية بمجد عدم الخطية، **وتغتني** بالروح القدس، **وتتجدد** بالعودة إلى الله بالقداسة. لأنه هكذا تصل إلينا النعمة التي بدايتها المسيح **البكر** بيننا. ولهذا السبب يعلمنا داود النبي المبارك أن نرتل للابن : " أنت أحببت البر وأبغضت الإثم، لذلك مسحك الله إلهك بزيت البهجة "(مز٤٥:٧). فكأن الابن المتجسد قد مُسِح كإنسان بمديح عدم الخطية. وكما قلت أن **الطبيعة البشرية قد مُجدت فيه** وصارت فيه مستحقة للحصول على الروح القدس **الذي لن يفارقها** كما حدث في البدء بل صارت مسرته (الروح القدس) أن يسكن فينا]

كان الروح القدس يحلّ على الملوك والأنبياء فقط في العهد القديم وكان يفارقهم عندما يخطئون (١صم١٦ : ١٤). لكن في العهد الجديد يحِلّ الروح القدس على **كل المؤمنين ولا يفارقهم أبداً**. لقد حَلّ أولاً على الرب يسوع " الإله المتجسد " حتى إذا ما تقبله الرب يسوع في جسده يصير هذا مكسباً للبشرية فيه وبداية طريق جديد لسكنى الروح القدس فينا. ولقد صار حلول الروح القدس على البشر ثابتاً ولا يفارقنا أبداً لأن الابن " يسوع المسيح " واحد

مع الروح القدس بلا انفصال. لذلك يُدعى الرب يسوع " الطريق "(يو١٤ : ٦) لأنه فتح لنا طريق السماء وحلول الله علينا.

لذلك إذا سألنا : لماذا نُدعى مسيحيين ؟ فالإجابة ليست مجرد أننا اتباع المسيح، بل لأننا ننال الروح القدس ساكناً فينا أي لقد أصبحنا ممسوحين من الروح القدس.

كيف يجب أن نفهم " عمانوئيل " ؟

يقول القديس كيرلس [الله الكلمة دُعِي " عمانوئيل " لأنه " أمسك بنسل إبراهيم "(عب٢:١٦) (أي حُسب مثل الناس لأنه صار ضمن الناس)، ومثلنا " شاركنا في اللحم والدم "(عب٢:١٤) وعمانوئيل تعني " معنا الله "..

وهو ليس معنا كما لو كان قد جاء لمساعدتنا مثلما قيل ليشوع " كما كنت مع موسى سوف أكون معك أنت أيضاً "(يش١:٥). ولكنه معنا لأنه صار مثلنا أي أخذ طبيعة بشرية دون أن يفقد طبيعته (الإلهية) لأن كلمة الله غير متغير بطبيعته.

ولماذا لم يُدع " عمانوئيل " رغم أنه قيل ليشوع " كما كنت مع موسى سأكون معك ". ولم يُدعَ الله عمانوئيل رغم أنه كان مع كل

القديسين؟. والسبب هو أن الله الكلمة أصبح معنا في الوقت الذي تحدث عنه باروخ " هو أظهر ذاته على الأرض، وتحدث مع الناس، وأسس كل طرق التعليم، وأعطاه ليعقوب عبده ولإسرائيل حبيبه، لأنه هو إلهنا وليس آخر سواه "(باروخ٣: ٣٥-٣٧).. ولذلك يتكلم داود النبي عن العلاقة السرية التي كانت قبل التجسد، بين الله الكلمة، وبيننا، ويقول بالروح " **لماذا تركتنا يارب** لماذا تحتقرنا في أزمنة الضيق"(مز١٠: ١). **أما الآن فهو لا يتركنا**، بل هو معنا عندما صار مثلنا دون أن يفقد ما له لأنه أمسك بنسل إبراهيم كما قلت، بل أخذ صورة العبد ورآه البشر كإنسان يمشي على الأرض.

إن عمانوئيل و" المسيح " يخصان الابن الواحد نفسه، فهو المسيح لأنه مُسِح مثلنا كبشر، وأخذ الروح للبشرية لأنه الأول وبداية الجنس البشري الجديد. وبالمثل، هو نفسه كإله يَمسح بالروح القدس كل الذين يؤمنون به. وهو عمانوئيل لأنه صار معنا على النحو الذي شرحته، والذي يخبرنا به إشعياء : " هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويُدعى اسمه عمانوئيل "(إش٧: ١٤). لأن العذراء القديسة حبلت بالروح القدس وولدت حسب الجسد ابناً، عند ذلك فقط دُعِىَ المولود عمانوئيل. لأن **غير المتجسد تجسد وأصبح " معنا " عندما وُلد**. وقد حدث هذا طبقاً لما ذكره داود " **سيظهر الله إلهنا** ولن يسكت"(مز٥٠ :٣،٢) وهو أيضاً ما أؤمن أن إشعياء أشار إليه " **أنا هو الذي يتكلم، هأنذا آتي** "(إش٥٣: ٦). لأن الكلمة قبل أن يتجسد تحدث من خلال الأنبياء، ولكنه صار معنا متجسداً]

يشرح القديس كيرلس اسم " عمانوئيل " على إنه اسم الله عندما تجسد واتخذ لنفسه جسداً وصار معنا بالجسد، لأنه معنا طبعاً منذ بداية العالم ولكنه أصبح معنا الآن على نحو جديد وفريد.

الله كان معنا في العهد القديم يساعد ويخلص شعبه من أعدائهم لكن في العهد الجديد أصبح " الله معنا " بشكل أوضح بكثير وأقوى بما لا يُقارن. لقد اتخذ جسداً وعاش بيننا " الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا "(١يو ١ : ١).

في العهد القديم كان الإنسان يشعر أن الله يتركه لكي يفهم أنه يضيع بدون الله وأنه ضعيف أمام شرور العالم وأمام الشيطان. لكن هذا الوضع تغير تماماً في العهد الجديد فالله لا يتركنا أبداً لأنه جعلنا أولاده واتحد بنا وأصبح من حقنا أن نتمتع بالبنوة له.

الرب يسوع تَقَبَّل الروح القدس وهو متجسد لأجلنا، وصار هو أول من حلّ عليه الروح القدس بثبات (لأن الروح القدس لا ينفصل عن الابن فهو واحد معه)، فصار الرب يسوع بداية الجنس البشري الجديد وطريقنا لأخذ الروح القدس بثبات.

من هو يسوع ؟

[أن تتابع تأملنا يلزمنا أن نتحدث عن الواحد ابن الله، فالمسيح وعمانوئيل ويسوع شخص واحد. والاسم " يسوع " جاء من الحقيقة: " أنه يخلص شعبه من خطاياهم "(مت١: ٢١). لأنه كما أن الاسم عمانوئيل يعني أن كلمة الله بسبب ميلاده من امرأة صار معنا، والمسيح دُعِيَ كذلك لأنه مُسِح مثلنا كبشر (عندما حلّ عليه الروح القدس)، هكذا أيضاً يسوع " لأنه يخلص شعبه من خطاياهم "، وهذا الاسم يوضح أنه الله بالحقيقة (لأن الله وحده هو الغافر الخطايا)، ورب الكل بالطبيعة. لأنه لا يليق أن تكون الخليقة ملك لإنسان، بل من اللائق أن نقول أن كل الأشياء هى للابن الوحيد حتى وهو في الجسد.

وربما اعترض البعض وقال إن شعب إسرائيل دُعِيَ شعب موسى. على هذا نجيب أن شعب إسرائيل دُعِيَ شعب الله وهذا حقيقي. ولكن عندما تمردوا على الله وصنعوا العجل في البرية، حُرموا من كرامة الانتساب لله، ورفض أن يدعوهم شعبه بل تركهم لرعاية بشر. وهذا **لا ينطبق علينا نحن خاصة يسوع**]

الإله المتجسد دُعِيَ يسوع. لأن اسم يسوع معناه " الذي يخلص شعبه من خطاياهم ". وهذا الاسم " يسوع " يثبت أنه الله، لأن لا أحد يستطيع غفران الخطية سوى الله.

شعب بني إسرائيل كانوا يُدعوّن شعب الله لكنهم انحرفوا وعبدوا الأوثان فحرمهم الله من مجد الانتساب إليه. أما في العهد الجديد، فالله هو مخلصنا ولن يتركنا أبداً بعد أن اتحد بنا وقد وعدنا أنه سيظل معنا للأبد " ها أنا معكم **كل الأيام** إلى أنقضاء الدهر "(مت٢٨ : ٢٠)

لماذا دُعِيَ كلمة الله إنساناً ؟

يقول القديس كيرلس [الكلمة الذي من الله الآب دُعِيَ إنساناً رغم كونه بالطبيعة الله، لأنه اشترك في الدم واللحم مثلنا (عب٢:١٤).

وهذا جعل الذين على الأرض قادرين على مشاهدته. وعندما حدث ذلك (تجسد) لم يفقد شيئاً مما له (إلوهيته)...

ورغم أن العذراء مريم ولدت الهيكل المتحد بالكلمة إلا أن عمانوئيل قيل عنه وهذا حق " من السماء " لأنه من فوق، ومولود من جوهر الآب. وإن كان قد نزل إلينا عندما صار إنساناً إلا أنه من فوق. وعن هذا شهد يوحنا " الذي يأتي من فوق هو فوق الكل "(يو٣: ٣١). والمسيح نفسه قال لشعب اليهود " أنتم من أسفل وأما أنا فمن فوق" (يو٨:٢٣) وأيضاً " أنا لست من هذا العالم ". رغم أنه كإنسان هو في العالم. إلا أنه أيضاً فوق العالم كالله. ونحن نذكر أنه قال علانية " ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان "(يو٣: ١٣).

ولذلك نقول أن ابن الإنسان نزل من السماء وهذا تدبير الاتحاد. لأن الكلمة وهب لجسده كل صفات مجده وكل ما هو فائق وخاص بالله]

ربنا يسوع هو الابن في الثالوث القدوس وهو كائن منذ الأزل " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله"(يو ١ :١) وهو مشترك في خلق العالم مع الآب والروح القدس. كما نقول في القداس الإلهي " الخالق والشريك مع الآب ".

الله يريد أن يتحد بالبشر لذلك رتب تجسد الابن ليراه الناس ويتقابلوا معه ويسمعوا تعاليمه فيفهموا طبيعة الله الحقيقية.

ولقد شاع استخدام كلمة " هيكل " لجسد الرب (يو ٢ : ١٩) للتأكيد أن ناسوت المسيح هو مكان حلول الله.

أن الإنجيل والآباء والقداس لم يفصلوا أبداً بين جسد الرب ولاهوته فكل أعمال المسيح اشترك فيها الجسد مع اللاهوت. فكان الرب يلمس المرضى فيشفيهم بل وحتى الموتى لمسهم وأقامهم ليرينا قوة جسده. ونحن في القداس نعطي لجسد الرب لقب " **المُحيي** " رغم أن إعطاء الحياة هو عمل خاص بالله وحده، لكننا نؤمن أن الله أعطى جسده امكانيات لاهوته. وقد شبّه القديس كيرلس ذلك بقطعة حديد موضوعة فوق النار فاكتسبت قوة النار. ولم يتغير الحديد إلى نار أو النار إلى حديد.

يقول القديس كيرلس الكبير [أن جسد المسيح المقدس فيه فاعلية وقوة لخلاص الإنسان، لأن جسد الكلمة القدير هو جسد الحياة، وقد اكتسى بقدرته، بل لاحظوا كيف **أن الحديد حينما يدخل في النار ينتج تأثيرات النار** ويحقق وظائفها. هكذا أيضاً لأن الجسد صار جسد

الكلمة الذي يعطي الحياة للكل، لذلك **صار له أيضاً قوة إعطاء الحياة**، وهو يلاشي الموت والاضمحلال][2]

يقول القديس كيرلس الكبير [لأنه منذ أن سكن كلمة الله المُعطي الحياة في الجسد، **حوّله إلى صلاحه الذاتي الخاص به**، أي الحياة، وبالاتحاد غير المنطوق به، أي مجيئه الكامل في الجسد، قد جعله معطياً للحياة، كما هو ذاته بالطبيعة مُعطي الحياة. لهذا فإن جسد المسيح يُعطي حياة لكل من يشترك فيه. لأنه يطرد الموت، حينما يدخل في أناس مائتين، ويزيل الفساد، إذ أن جسده ممتلئ بالكامل بالكلمة الذي يبيد الفساد][3]

القديس كيرلس الكبير يقول [أن المسيح مخلّص الكل لم يقدم أية صلاة بل تمم الأمر بقوته الذاتية وشفاها بكلمة وبلمسة منه. (المرأة المنحنية لوقا ١٣). لأنه بسبب كونه رباً وإلهاً أظهر أن جسده الخاص له فاعلية مساوية مع نفسه، لتحرير البشر من أمراضهم، ومن ثم كان يقصد أن يدرك البشر فحوى السر المختص به][4]

---

[2] تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس الكبير طبعة ٢٠٠٧ صفحة ١٦١
[3] تفسير إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الكبير ج١ طبعة ٢٠١٥ صفحة ٤٠٤
[4] تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس الكبير طبعة ٢٠٠٧ صفحة ٤٦٧

كيف قيل أن الكلمة أخلى ذاته ؟

[أن الله الكلمة بطبيعته كامل من كل الوجوه، ومن ملئه يوزع عطاياه للخلائق. ونحن نقول أنه **أخلى ذاته دون أن يمس هذا طبيعته** لأنه عندما أخلى ذاته لم يتغير إلى طبيعة أخرى، ولم يصبح أقل مما كان عليه لأنه لم ينقص شيئاً. هو (بطبيعته كإله) غير متغير..

الأشياء التي تخص الطبيعة البشرية، جعلها له (تخصه) عندما تجسد لكي يكمل التدبير ويبقى كما هو]

الابن عندما اتخذ لنفسه جسداً لم يفقد ولم يتغير لاهوته وأيضاً جسده ظل جسداً حقيقياً مثلنا وهو ما نقوله في القداس " أن لاهوته اتحد بناسوته بغير اختلاط أو امتزاج أو تغيير.

الابن اخلى ذاته أي لم يُظهر ولم يستخدم كل مجد لاهوته في تجسده. وفي التجلي أظهر جزء بسيط من لاهوته للتلاميذ.

كيف يكون المسيح واحداً ؟

[رب واحد يسوع المسيح الذي به كل الأشياء ونحن به "(١كو٨:٦).. نحن لا نقول أن يسوع المسيح كان مجرد إنسان، ولا نعتقد بالله الكلمة بدون طبيعته الإنسانية. بل نقول أنه **واحد من أثنين أي الإله المتجسد**.. وهذا لا يعني بالمرة أن إنساناً صار خالق كل الأشياء، بل يعني أن الله الكلمة الذي به خُلقت كل الأشياء صار مثلنا واشترك في الدم واللحم (عب٢:١٤) ودُعِيَ إنساناً دون أن يفقد ما له (إلوهيته)، لأنه وإن كان قد صار جسداً لكنه بالحقيقة خالق الكل]

نحن نؤمن بإله واحد حقيقي فقط هو الثالوث القدوس " الآب والابن والروح القدس ". وأن الابن جاء واتخذ لنفسه جسداً أي تجسد وبهذا صار الإله المتجسد. ولم يتغير ولم يفقد شيء من لاهوته. وفي التسبحة في ثيؤطوكية الأحد تردد الكنيسة – عن ربنا يسوع – " واحد من أثنين، لاهوت قدوس بغير فساد، مساوٍ للآب وناسوت طاهر مساوٍ لنا كالتدبير ".

كيف يكون عمانوئيل واحداً ؟

[قيل عن الله الكلمة مرة واحدة وإلى الأبد وفي آخر الدهور أنه صار إنساناً..

كثيرون قبله كانوا قديسين ولكن ليس واحد منهم دُعِيَ " عمانوئيل " لماذا ؟ لأن الوقت لم يكن قد حان بعد ليكون هو معنا. أي **أن يجيء إلى طبيعتنا عندما يتجسد**، وذلك لأنه اسمى من كل المخلوقات.

واحد إذاً هو عمانوئيل لأنه الابن الوحيد الذي صار إنساناً عندما وُلِد جسدياً من العذراء القديسة.. فلنعتقد بحكمة أنه ليس معنا كما كان في الأزمنة السابقة مع القديسين لأنه كان معهم كمعين فقط ولكن هو معنا لأنه صار مثلنا دون أن يفقد طبيعته لأنه الله غير المتغير]

جاء قبل المسيح أنبياء وأبرار كثيرين ولم يأخذ أحد منهم لقب " عمانوئيل " رغم أن الله كان معهم ويعينهم في حياتهم وخدمتهم لكن لقب " عمانوئيل " أصبح لقب للمسيح فقط بعدما تجسد فالله أصبح معنا بطريقة جديدة تماماً عن قبل. لقد اتحد بجسد اتحاداً غير قابل للانفصال.

ما هو هذا الاتحاد ؟

[إذا طُلب منا أن نحدد كيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت وهو أمر يفوق كل فهم بل صعب جداً، نقول أنه من اللائق أن نعتقد أن اتحاد اللاهوت بالناسوت في عمانوئيل هو مثل **اتحاد نفس الإنسان بجسده** - وهذا ليس خطأ لأن الحق الذي نتحدث عنه هنا تعجز عن وصفه كلماتنا. والنفس تجعل الأشياء التي للجسد هى لها رغم أنها (النفس) بطبيعتها لا تشارك الجسد آلامه المادية الطبيعية أو الآلام التي تسببها للجسد الأشياء التي هى خارج الجسد..

عندما اتحد بجسد له نفس عاقلة وتألم **لم ينفعل - اللاهوت - بما تألم به، لكنه كان يعرف ما يحدث له،** وأباد كإله كل ضعفات الجسد، رغم أنه جعلها ضعفاته هو فهى تخص جسده. لذلك (بسبب الاتحاد) قيل عنه أنه عطش وتعب وتألم لأجلنا..

أن الكلمة يجعل آلام جسده آلامه هو، لأن الجسد هو جسده وليس جسد آخر سواه. هكذا **يمنح الكلمة جسده كل ما يخص لاهوته من قوة، حتى أن جسده قادر أن يقيم الموتى ويبرئ المرضى**]

نستطيع تشبيه اتحاد لاهوت الرب بناسوته مثل اتحاد الروح البشرية لكل إنسان بجسده فيصبح شخصاً واحداً غير منقسم إلى أثنين من بعد الاتحاد : روح وجسد. وكل شيء يُنسب للشخص الواحد فلا نقول روح **ماجد** صلت بل **ماجد** صلى. جسد **بيتر** صام بل **بيتر** صام.. وهكذا.

يُعبر القديس كيرلس عن التقوى الأرثوذكسية بكل وضوح أن المتألم هو ربنا المتجسد وليس لاهوته ورغم أن الآلام تخص جسده إلا أنها تُنسب له كشخص واحد غير منقسم.

إذا تعرض إنسان منا لإهانة أو حزن أو ضيق فهو لا يكتفي بتلقي الأمر بل يتعاظم داخله لأنه يتفاعل معه وينفعل جداً ويقول

مثلاً " من يظن هذا الإنسان نفسه حتى يقول هذا الكلام علىَّ ؟ ألا يعرف من أنا ؟.. أنا لن أسكت على هذه الإهانة.. "

لكن الله لا ينفعل ولا يُثار مثلنا.

واللاهوت لا يشعر بالألم فنستطيع تشبيه الأمر – على قدر استطاعتنا – بطفل صغير جداً يضرب رجلاً ضخماً. الرجل لا يشعر بأي ألم لكنه يعرف أن الطفل يضربه.

مثال آخر : لو طفل صغير جداً قال لرجل كبير : " أنا حأكسرك". فالرجل يبتسم في هدوء ولا ينفعل ولا ينتقم لأنه يعلم أنه أمام طفل صغير.

كما جاء في المزمور الثاني الذي نصلي به في صلاة باكر " لماذا ارتجت الأمم وتفكرت الشعوب بالباطل. قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه، لنقطع أغلالهما ولنطرح عنا نيرهما. الساكن في السموات **يضحك** بهم "

أن الآلام وقعت فعلاً وحقاً على الرب يسوع ولكننا إذا قلنا أن ناسوت الابن هو الذي تألم فإننا بهذه العبارة نتحدث عن انفصال بين اللاهوت والناسوت، لأن الناسوت هو ناسوت الله الذي قَبِل أن يحمل خطايانا وأسقامنا.

شرح القديس كيرلس هذا الموضوع في مقالته الثالثة للرد على نسطور [يُعد قبول الكلمة الله لجسده ورضائه بالموت عن الصليب تعبيراً عن عمق وقوة الاتحاد. كان من الممكن للمسيح أن يمنع الآلام والموت عن جسده، ولكنه لم يفعل لأنه رضى أن ينال منه اليهود والرومان. **وهذا الرضا هو تأكيد على وحدانية الأقنوم (الشخص)**، ويصبح الصلب والقيامة من أعمال الخلاص الإلهية التي قام بها ليس جسد المسيح بل المسيح الواحد من أثنين : اللاهوت والناسوت.

الشخص الواحد الذي جمع في شخصه اللاهوت والناسوت كان صاحب القرار بالرضا بالموت على الصليب. **القرار أو الإرادة هو قرار المسيح الواحد والرب الواحد.** ولكن في الرب الواحد ما لا يقبل الآلام أي اللاهوت مثلما يموت شهيد محترقاً بالنار.. فإن الجسد يتعذب أما الروح فتظل بعيدة عن آلام الحريق وأحياناً تسمو الروح على الآلام وتسبح وتشكر كما حدث لاستفانوس شهيد المسيحية الأول والشهيد بوليكاربوس]

الجمرة المتقدة

[إذ يليق بنا في هذا المجال أن نستخرج تشابيه من الكتب المُوحى بها من الله لكي نوضح بعدة أمثلة كيفية الاتحاد، لذلك دعونا نتكلم من الكتب حسب طاقتنا.

قال النبي إشعياء " وجاء إليّ أحد السيرافيم وفي يده جمرة متقدة أخذها من على المذبح بملقط وقال لي هذه ستلمس شفتيك لكي تنزع إثمك وتطهرك من خطاياك "(٦:٦،٧) ونحن نقول أن **الجمرة المتقدة هى مثال وصورة للكلمة المتجسد**..

الكلمة حوّل ما أخذه (الطبيعة البشرية) **وجعله متحداً به، بل بمجده وبعمله،** لأن النار عندما تتصل بالخشب تستحوذ عليه، لكن الخشب يظل خشباً. ليس فقط يتغير إلى شكل النار وقوتها، بل يصبح له كل صفات النار وطاقتها ويعتبر واحداً معها.. **الكلمة نفسه قام بكل أعمال اللاهوت في الجسد**]

أن القديس كيرلس يُشبّه جسد الرب (الذي نأخذه في سر التناول) بالفحم المشتعل أي المتحد بالنار. فالفحم لم يتحول إلى نار والنار لم تتحول إلى فحم، لكن الفحم اكتسب قوة النار وأصبح حارقاً مثل النار. وهذا ما حدث لجسد الرب يسوع الذي اكتسب قوة اللاهوت وصار يشفي المرضى ويقيم الموتى بلمسة منه. وطبعاً اللاهوت لم يتغير والناسوت ظل كما هو ناسوت.

الوردة ذات الرائحة العطرة

[قدم لنا نشيد الأنشاد ربنا يسوع قائلاً " أنا وردة السفوح وسوسنة الأودية "(٢:١). وفي السوسنة الرائحة غير المجسمة (لاتراها العين) ولكنها لا توجد خارج السوسنة. لذلك فالسوسنة واحدة من أثنين (الرائحة وجسم السوسنة). وغياب رائحة السوسنة لا يجعلها سوسنة. وكذلك غياب جسم السوسنة لا يفسر وجود رائحة السوسنة لأن في جسم السوسنة رائحتها.. لذلك من الصواب أن نعتقد أن الذي بطبيعته غير جسماني اتحد بجسده وأصبح الاتحاد مثل السوسنة. لأن الرائحة العطرة وجسم السوسنة هما واحد ويسميان السوسنة]

الوردة لها رائحة عطرة لا نستطيع فصل الرائحة وحدها بعيداً عن جسم الوردة كما لا نستطيع فصل جسم الوردة بعيداً عن رائحتها الجميلة. ويرمز للاهوت بالرائحة لأنها غير مجسمة والجسد يرمز له بجسم الوردة. فالرب يسوع وحّد لاهوته بجسده بلا افتراق فهو شخص واحد لا ينقسم ولا يعمل اللاهوت منفرداً أو الناسوت منفرداً.

إله متجسد وليس إنساناً تأله

[" الله ظهر في الجسد "(١تي٣:١٦) وهذا حقيقي لأن الله الكلمة ظهر في الجسد (ظهر في الجسد = اتخذ له جسداً = تجسد).

أنه بالحقيقة صعد بالجسد وليس باللاهوت وحده، لأن الله تجسد (ولذلك يمكن أن يُقال أنه صعد). كما أننا نؤمن أنه ليس إنساناً مثلنا قد تشرف بنعمة اللاهوت لئلا نقع في جريمة عبادة إنسان. وإنما نؤمن بالرب الذي صار مثلنا بالحقيقة بطبيعة بشرية ولكنه ظل الله..

لقد تعرضت البشرية للخطر وهوت إلى أدنى حالات المرض أي اللعنة والموت، وزيادة على ذلك تدنست بقذارة الخطية وضلت وصارت في الظلام حتى أنها لم تعرفه وهو الله الحقيقي وعبدت المخلوقات دون الخالق. فكيف كان من الممكن أن تتحرر من فساد مثل هذا ؟ هل بأن تُعطى لها الألوهة ؟.. كيف كان من الممكن أن ترتفع إلى الطبيعة الكلية النقاء، وتحصل على المجد الذي لا يستطيع أحد أن يحصل عليه إلا إذا وُهب له ؟..

أن الله الكلمة الذي به خُلقت كل الأشياء اشتهى أن يخلص ما قد هلك، فنزل إلينا ونزل إلى ما دون مستواه حتى يرفع الطبيعة البشرية إلى **ما هو فوق مستواها أي ترتفع إلى أمجاد اللاهوت** بسبب الاتحاد به. لذلك كان ارتفاع الطبيعة البشرية إلى فوق بسبب التجسد مقبولاً ومعقولاً عن أن ترتفع الطبيعة البشرية إلى أمجاد اللاهوت بدون التجسد، وأن **تنال عدم التغير الخاص بالله** دون أن ينزل الله إليها. ومن اللائق أن ينزل غير الفاسد إلى الطبيعة المستعبدة للفساد حتى يحررها من الفساد. وكان من اللائق أن الذي لم يعرف خطية يصبح مثل الذين تحت الخطية ليبطل الخطية. ففي النور تصبح الظلمة بلا عمل..

وسوف أبرهن من الأسفار المقدسة أن الكلمة صار إنساناً وليس المسيح كإنسان هو الذي تأله. يقول بولس المبارك عن الابن الوحيد " الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب مساواته لله شيئاً يُخطف، بل كإنسان تواضع وأطاع حتى الموت، موت الصليب..

كيف يمكن أن يخلي ذاته وهو مخلوق ؟.. كيف يُقال (عن المسيح) أنه صار في شبه الناس وهو (أصلاً) مثلهم ؟..

لقد أخلى ذاته لأجل الطبيعة البشرية. وقد فعل هذا عندما صار في شكلنا. ولولا أنه له الملء كإله ما كان قد قيل عنه أنه تواضع.. ولكن علينا أن نلاحظ أنه **رفع معه الجسد إلى مجد الألوهة**]

الرب يسوع ليس إنساناً عادياً حلّ عليه روح الرب (فنحن لا نعبد إنساناً)، بل العكس هو الصحيح، فالرب يسوع هو الإله الذي جاء واتخذ لنفسه جسداً. ليتعرف عليه الناس ويتذوقوا حبه لهم فيبادلوه حباً بحب وذلك من أجل أن يتحد بهم ويهبهم عطاياه الإلهية – أي التي ليست من قدرة البشر – من تقديس وتبني وسكنى الله فينا والحياة الأبدية وهو ما يُعرف عند الآباء بالتأله وهذا التعبير جاء من الكتاب المقدس " أنا قلت أنكم آلهة "(مز ٨٢ : ٦)،" أجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت أنكم آلهة"(يو ١٠ : ٣٤).

[**لا يجب أن نقسم الرب يسوع المسيح إلى إنسان وإلى إله**، بل نقول يسوع المسيح هو واحد، لكن نميز بين الطبيعتين دون أن نمزجهما.. يجب أن **لا نمزق الاتحاد أو نعتقد بوجود ابنين**.. بسبب الاتحاد يمكن أن نتحدث عن طبيعة هى أصلاً من الطبائع المتحدة كما لو كنا نتحدث عن عنصر واحد منها مع أن الواقع غير ذلك. فأحياناً يُقال عن الإنسان أن روحه تسكن جسده، وأحياناً تُدعى روح الإنسان (وحدها) أو جسد الإنسان (وحده) إنساناً.. النبي إشعياء يقول " في الليل تبكر إليك روحي يا الله "(٢٦:٩)، فهل تقوم روحه مبكرة إلى الله باعتبارها شيئاً آخر غير جسده ؟ أليس حماقة أن نستنتج هذا؟!! لذلك علينا أن نفهم طريقة الحديث عن مثل هذه الموضوعات وأن نلتزم بما هو معقول منتبهين إلى الغرض الذي يكمن وراء هذه الأقوال.

وعلى الرغم من أنه قيل عن يسوع أنه كان " ينمو في القامة وفي الحكمة وفي النعمة "(لو٢:٥٢). فإن هذا يخص التدبير. لأن كلمة الله سمح لبشريته أن تنمو حسب خواصها وحسب قوانينها وعاداتها. لكنه أراد شيئاً فشيئاً أن يعطي مجد ألوهيته إلى جسده كلما تقدم في العمر حتى لا يكون مرعباً للناس إذا بدر منه عدم الاحتياج المطلق إلى أي شيء. ومع هذا تكلموا عنه " كيف عرف هذا الإنسان الكتب وهو لم يتعلم "(يو٧:١٥). فالنمو يحدث للجسد، كما أن التقدم في النعمة والحكمة يتلائم مع مقاييس الطبيعة البشرية.. وعلى الرغم من أنه قيل عن يسوع أنه تألم فإن الآلام هى أيضاً خاصة بالتدبير. وهى آلامه هو، وهذا صحيح تماماً لأنه تألم في الجسد الذي يخصه هو]

الاتحاد بين اللاهوت والناسوت تم منذ اللحظة التي بدأ فيها الجسد في التكّون، ولكن الجسد كان ينمو حسب خواصه وقوانينه لأن الرب يسوع اتخذ جسد حقيقي مثل جسدنا ولم يغير طبيعة الجسد، بل تركه ينمو ويعيش كأي جسد عادي وألا لن يكون تجسد حقيقي. وما يؤكده القديس كيرلس هنا هو أن المسيح كان يكشف عن مجده الإلهي شيئاً فشيئاً كلما نما جسده. ولعل هذا المبدأ اللاهوتي الهام، هو ما يميز الأناجيل الأربعة الصحيحة – التي تعترف بها الكنيسة الجامعة – عن غيرها من الأناجيل

المزورة التي تنسب للمسيح في طفولته معجزات وخوارق غير عادية.

وما هو واضح أن **الاتحاد** حدث دون انفصال لكن **ظهور المجد الإلهي** كان يحدث على فترات وفي مناسبات معينة مثل السير على الماء أو التجلي.

الحية النحاسية رمز للمسيح

[ربنا يسوع المسيح نفسه يقول عن رموز التدبير بالجسد أنه مثل الحية النحاسية التي رفعها موسى لكى تشفي من عضات الحيات. لأنه يقول " كما رفع موسى النبي الحية في البرية هكذا يجب أن يُرفع ابن الإنسان حتى أن من يؤمن به لا يهلك بل تكون له الحياة الأبدية"(يو٣ :١٤،١٥). والحية التي صُنعت من نحاس كانت سبب خلاص للذين كانوا في خطر، لأنهم عندما نظروا إليها خلصوا. هكذا ربنا يسوع المسيح للذين ينظرونه وهو في شبه الناس الخطاة - لأنه صار إنساناً- ولكن لا يجهل أحد أنه الله الذي يقيم والذي يمنح الحياة والقوة للهرب من العضات الأليمة والسامة، وأنا أقصد القوات التي تحاربنا]

تذمر الناس على الله فصارت الحيات تقتلهم. صرخ موسى النبي والشعب لله. طلب الله من موسى أن يصنع حية من نحاس وأن يرفعها على خشبة، وكل من له إيمان بعمل الله، عليه فقط أن يرفع عينيه وينظر إليها، فيُشفى من لدغة الحيات المميتة. وقال ربنا يسوع أن هذه الحية النحاسية كانت رمزاً لصليبه الذي يشفي من الموت لمن يؤمن.

الله نفسه يسكن فينا

[يقول الله (عن البشر) في موضع " أني **سأسكن فيهم** وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً "(إر٣١:٣٣) ويقول الرب يسوع المسيح نفسه : " هنذا سآتي.. إن فتح لي إنسان، سوف **أدخل أنا وأبي لنسكن** ونتعشى معه "(يو١٤:٢٣) وكذلك أيضاً دعينا هياكل الله " **أنتم هيكل الله الحي** "(٢كو٦:١٦)، وهو يقول أيضاً " ألستم تعلمون أن أجسادكم هى هيكل الروح القدس الذي فيكم والذي لكم من الله "(١كو٦:٩). فإذا قالوا أنه دُعِي عمانوئيل بمعنى أنه مثلنا نحن البشر قد سكن الله فيه، فليعترفوا علانية أنهم عندما يشاهدوننا نحن والملائكة في السماء وعلى الأرض يخجلون من هذه الفكرة. ويخجلون بالحرى لأنهم يجهلون قصد الأسفار المقدسة. كما أنه لا يوجد عندهم الإيمان الذي سلمه إلينا الذين كانوا منذ البدء

معاينين وخداماً للكلمة (لو١:٢). وإذا قالوا أنه الله وأنه تمجد كإله لأن كلمة الله الآب سكن فيه (أي في يسوع المسيح) وأنه يُمجد على هذا النحو وليس على أساس أنه الله الذي صار جسداً. فليسمعوا منا هذا: لا يكفي لمن يسكن الله فيه أن تجعله إلهاً يُعبد، لأن الله يسكن فينا. ومع هذا **فالذين أخذوا الروح القدس لا يكفيهم هذا لكي يصبحوا بالحقيقة آلهة**]

الرب يسوع هو الوحيد والفريد في التاريخ الذي نقول عنه أنه هو الله المتجسد بالحقيقة. والرب يسوع ليس مجرد إنساناً عادياً حلّ فيه الله مثلنا، بل هو الله الذي اتخذ لنفسه جسداً.

أما نحن، فقد أعطانا الله نعمة عظيمة فوق قدرتنا البشرية، فلقد سكن فينا بنفسه ودعانا آلهة (مز٨٢ : ٦) لكن لن نصبح أبداً مساويين لله، بل هو من أعطانا هذه النعمة العظيمة بأن **سكن فينا بنفسه** ولم يعطنا فقط مواهب. لكن نحن نعرف أننا نظل بشر محدودين ولسنا معصومين من الخطأ. وكذلك نعترف أن الرب يسوع هو الابن الوحيد الحقيقي المساوي للآب، أما نحن فأبناء بالتبني وبالنعمة. لقد وهبنا الله أن نناديه بدالة البنين ونخاطبة " أبانا " وأن نتمتع بحبه الأبوي لنا. " فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً. ورثة الله ووارثون مع المسيح "(رو٨ : ١٧)

الله تجسد مرة واحدة فقط

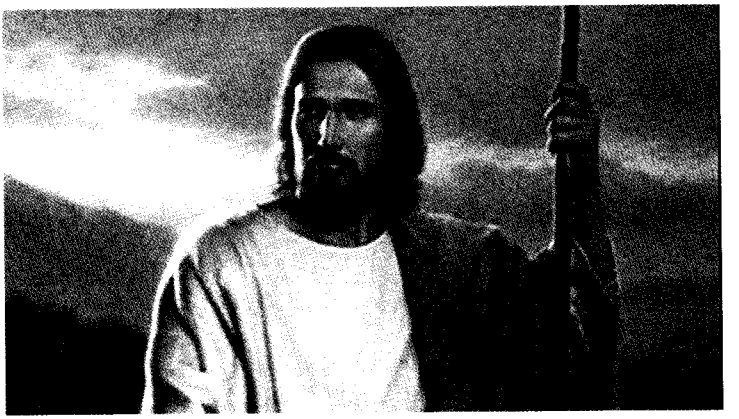

[" لقد حدد الناموس عبادتنا لله على النحو التالي " للرب إلهك تسجد **وإياه وحده تعبد** "(تث٦:١٣)..

لو كان (المسيح) إنساناً لبس اللاهوت فما معنى القول " **شاركنا في اللحم والدم** "(عب٢:١٤). كيف يتحقق هذا لو كان اللاهوت قد حلّ في إنسان ؟ هل يكفي الحلول لأن يصبح (الكلمة) مشاركاً إيانا اللحم والدم. ولو كانت مشاركته اللحم والدم تجعل منه إنساناً على النحو الذي يفهمه المعارضون للإيمان، فالله حلّ في قديسين كثيرين، وهذا يعني أنه لم يتجسد مرة واحدة بل عدة مرات. لكن قيل عن التجسد: " **أظهر مرة** عند انقضاء الدهر لكي يبطل الخطية بذبيحة نفسه"(عب٩:٢٦). فلو كان الرأي المعارض صحيحاً، فكيف تبشرنا الكتب الإلهية **بمجئ واحد للكلمة** ؟]

الكتاب المقدس في العهدين يؤكد أننا نعبد إله واحد فقط (تث٦ : ٤)، (يو١٧ : ٣) ولا نُشرك معه أحد.

والكتاب المقدس يخبرنا أن الله حلّ على كثير من **الأنبياء والملوك في العهد القديم لفترات مؤقتة**. أما في العهد الجديد فالله أصبح يحلّ على **كل المؤمنين به، حلولاً دائماً بلا انفصال**.

وربنا يسوع لم يكن مجرد إنساناً حلّ عليه الله – مثلما يحلّ علينا – بل هو الله نفسه وقد اتخذ لنفسه جسداً. لذلك يقول الإنجيل أن الله شاركنا في اللحم والدم.

كل مسيحي هو هيكل الله

[لو كان المسيح إنساناً حلّ فيه اللاهوت، فإنه يصبح مجرد هيكل لله. وفي هذه الحالة علينا أن نسأل كيف يسكن فينا المسيح إذاً ؟ هيكل يسكن في هيكل، هل هذا معقول ؟! أم المعقول أنه هو الله الساكن فينا نحن هياكله بالروح]

يؤكد الإنجيل أن الثالوث يسكن فينا (١كو٣ : ١٦)، (يو١٤ : ٢٣)، (١يو٤ : ١٢، ١٣). فيتسائل القديس كيرلس إننا نعرف أن المسيح يسكن فينا، فكيف يكون هو نفسه مجرد هيكل يسكن فيه

الله (بنفس الطريقة التي يسكن بها الله فينا): هل يسكن هيكل في هيكل ؟! الإجابة : طبعاً لا. فالرب يسوع ليس مجرد إنساناً يحلّ فيه الله مثلما يحلّ فينا بل هو الله نفسه المتجسد.

جسد المسيح وحده يهب الحياة

[لو كان المسيح إنساناً لبس اللاهوت فلماذا يكون **جسده وحده واهب الحياة بصورة دائمة** ؟!]

يتسائل القديس كيرلس : لو كان جسد المسيح مجرد إنسان حلّ عليه الله مثلنا فكيف يكون جسده فقط هو من يعطي حياة أبدية " من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية "(يو ٦ : ٥٤)
وعند التناول يقول الأب الكاهن [جسد ودم عمانوئيل إلهنا يُعطى لمغفرة الخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه]

الكتاب المقدس يدعو الإنسان " نفس " أو " جسد "

[أن الأسفار غالباً ما تُسمي الإنسان كله جسداً، أي تسمي الكل باسم الجزء.. فيَشار تارة إلى الإنسان كله باسم الجسد، وتارة يسمي الإنسان بالنفس وحدها، كما هو مكتوب : " ويبصر كل جسد خلاص الله"(لو٣ :٩). وكذلك بولس الإلهي الناطق بالإلهيات يقول : " لم استشر لحماً ودماً "(غل١:١٦). وموسى شارح الأسفار الإلهية يخاطب الإسرائيليين: " والذين نزلوا إلى مصر من آبائكم كانوا خمسة وستين نفساً "(تث١٠ :٢٣). ولا يستطيع أحد أن يقول أن الذين نزلوا إلى مصر هم نفوس عارية بلا أجساد، أو أن الأجساد بلا نفوسها هى التي سيعطيها الله بغنى من خلاصه. لذلك عندما نسمع أن الكلمة صار جسداً فلنعتقد أنه تجسد وصار إنساناً له نفس وجسد. لأن الكلمة الله تجسد وصار إنساناً كاملاً ودُعِي ابن الإنسان لأن له نفساً وعقلاً، واتحد بكل مكونات الإنسان اتحاداً حقيقياً بطريقة يعرفها هو وحده]

الكتاب المقدس يشير للإنسان أحياناً مستخدماً تعبير " نفس " فقط وأحياناً أخرى تعبير " جسد " فقط. ولا يوجد بشر عبارة عن نفوس فقط بدون أجساد أو أجساد فقط بدون نفوس، لكن الكتاب يستخدم الجزء (النفس أو الجسد) ليشير للكل.

اتحاد حقيقي وليس مشاركة خارجية

[ففي المسيح حدث اتحاد كامل وحقيقي.. ولم يحدث هذا بأي نوع من المشاركة، أو مجرد صلة (خارجية) مثل لمعان النور على جسم من الأجسام.. إنما اتحاد حقيقي للطبيعة الإلهية غير الدنسة.. لأنه **بالاتحاد وحده يسوع المسيح هو واحد**]

يؤكد القديس كيرلس على الاتحاد الحقيقي بين الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية في المسيح الواحد. وأنها ليست فقط مشاركة أو تأثير خارجي مثل انعكاس ضوء من جسم مضئ على جسم آخر يواجهه، فهذا مجرد تأثير خارجي وليس اتحاد حقيقي.

لماذا ندعو العذراء " والدة الإله " ؟

[الإنجيلي الحكيم يقول " الله الكلمة كان في البدء مع الله "(يو١:١) لكنه في الزمان الأخير " لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد وتأنس ". دون أن يفقد خواصه، لأن **طبيعته غير متغيرة** وكائنة إلى الأبد في مجد الله الفائق، لكن لأجلنا وتدبيرياً قَبِل أن يُخلي ذاته بل وقَبِل فقرنا، لأنه وهو الغني افتقر- كما هو مكتوب- حتى نصبح نحن بفقره " أغنياء "(به وفيه) (٢كو٨:٩) ولذلك تجسد وولِد من امرأة حسب الجسد. والذي حدث أنه أخذ من العذراء القديسة جسداً واتحد به اتحاداً حقيقياً. لذلك نعتقد أن العذراء القديسة هى والدة الإله، لأنها ولدته حسب الجسد، لكنه مولود في ذات الوقت من الآب قبل كل الدهور (لذلك يُدعى الابن في الثالوث).

والذين يفترضون أن الكلمة ابتدأ أو وُجد عندما صار إنساناً إنما يفترضون رأياً مضاداً للتقوى وفي منتهى الفوضى. والمخلّص نفسه يُظهر لأصحاب هذا الرأي غباوتهم فيقول عن نفسه : " قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن "(يو٨:٨٥). فكيف هو كائن قبل إبراهيم وهو قد وُلِد حسب الجسد بعده بأجيال كثيرة ؟ وفي هذا يكفي ما قاله يوحنا الناطق بالإلهيات (يوحنا المعمدان) موبخاً أصحاب هذا الرأي : " الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي "(يو١:٣٠).

وإذا كان هناك أحد ما يتجرأ أو يُعلم بأن الجسد الترابي هو الذي ولد الطبيعة الإلهية غير الجسدانية، أو أن العذراء حبلت بالطبيعة التي هى فوق كل الخليقة. فإن هذا هو الجنون (الكفر) بعينه. لأن الطبيعة الإلهية ليست من تراب الأرض حتى تولد منه (من التراب) ولا تلك الخاضعة للفساد (يقصد السيدة العذراء) تصبح أماً لعدم الموت ولا تلك الخاضعة للموت، تلد الذي هو حياة الكل، ولا غير المادي يصبح ثمرة للجسد الذي بطبيعته خاضع للميلاد وله ابتداء في الزمان. **الجسد لا يمكنه أن يلد الذي لا بداية له.**

لكننا نؤكد أن الكلمة صار ما نحن. وأخذ جسداً مثل جسدنا واتحد به اتحاداً حقيقياً بطريقة فوق الادراك والتعبير. وأنه تأنس ووُلِد حسب الجسد. وهذا ليس غريباً لا يُصدق أو يحظى بعدم الإيمان.. ألا تولد النفس البشرية وهى من طبيعة مختلفة عن طبيعة الجسد، لأنها - كما قلنا سابقاً - متحدة به ؟ ولا أظن أن أحداً سيفترض أن النفس لها طبيعة الجسد، أو أنها تتكّون معه، وإنما الله بطريقة غير

معروفة يغرسها في الجسد وتُولد معه. ولذلك نحن نحدد أن الكائن الحي الواحد المولود هو من أثنين. هكذا الكلمة هو الله لكنه تجسد وأيضاً وُلِد حسب الجسد وبطريقة بشرية، لذلك تُدعى التي ولدته والدة الإله.

إذا لم تكن العذراء قد ولدت الله فلا يجب أن نُسمى المولود منها الله. ولكن حيث أن الكتب الموحى بها تدعوه الله المتجسد، وحيث أنه لا توجد وسيلة أخرى للتجسد إلا الولادة من امرأة، فكيف لا نسمي التي ولدته والدة الإله ؟]

الرب يسوع هو الابن في الثالوث القدوس وهو موجود منذ الأزل وعندما جاء وتجسد أخذ جسداً من العذراء لكن هذه لم تكن بداية وجوده مثلنا (فكل واحد منا بداية وجوده هى منذ ميلاده) أما الابن فموجود منذ الأزل مع الآب والروح القدس.

تجسد الابن الكلمة لم يفقده أي شيء من قدرته الإلهية فهو الله الغير خاضع للتغيير. فظل هو الله بعد أن أخذ له جسداً.

ونحن لا نقول أن العذراء ولدت لاهوت الابن (أي كانت سبب وجوده وبداية وجوده) فلا تستطيع الطبيعة البشرية الترابية أن تلد الطبيعة الإلهية. ولا تستطيع العذراء وهى – تحت حكم الموت – أن تلد عديم الموت. ولا تستطيع الطبيعة المادية أن تلد

الطبيعة الغير مادية. والسيدة العذراء نفسها أعلنت حاجتها لخلاص المسيح وقالت " تبتهج روحي بالله **مخلصي** "(لو ١ : ٤٧). لذلك نحن لا نعترف بعقيدة الحبل بلا دنس للسيدة العذراء.

يعطي القديس كيرلس تشبيهاً لتوضيح ميلاد ربنا يسوع من العذراء فيقول أن كل إنسان هو مكوَّن من جسد ونفس (روح إنسانية) ولا نعرف كيف ومتى وُجِدَت (بدأت، خُلقت) هذه الروح الإنسانية في الجنين. وهى بالتأكيد ليست من طبيعة الجسد ومع ذلك عندما يُولد طفل، لا نقول أن أمه ولدت جسده فقط ولا تُدعى أم جسده فقط، بل تدعى أم الطفل، رغم أن الطفل المولود مكوَّن من جسد ونفس.

اسم عمانوئيل يعلن التجسد

[" هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً وسيدعون اسمه **عمانوئيل** "(إش٧: ١٤). فكيف - خبروني - يُدعى الذي وُلِد من العذراء **عمانوئيل** ؟. وكما قلت سابقاً " عمانوئيل " تعني أن كلمة الله الذي هو بالحقيقة الله صار مثلنا بسبب الجسد. وقد دُعِيَ عمانوئيل لأنه أخلى ذاته، ووُلِد مثلنا وتحدث معنا. لذلك فهو الله في الجسد. والتي ولدته بالحقيقة هى والدة الإله، لأنها ولدته حسب الجسد]

أن اسم عمانوئيل لم يكن يُطلق في العهد القديم على الله بل كانت النبوة تقول أنه عندما يتجسد الله سيُسمى عمانوئيل. " يعطيكم السيد نفسه آية، ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل "(إش٧ : ١٤). واسم عمانوئيل معناه " الله معنا " فاسم عمانوئيل يشهد أنه الله الظاهر في الجسد.

يُولد لنا ولد.. إلهاً قديراً

[يقول إشعياء النبي " لأنه يُولد لنا **ولد** ونُعطى ابناً وسيكون الحكم على كتفه ويُدعى اسمه مشيراً **إلهاً قديراً** "(إش٩:٥). ها نحن نسمع أنه يُسمى **ولداً** لأنه وُلِد مثلنا]

تنبأ إشعياء النبي – قبل مجئ المسيح بحوالي ٧٤٠ سنة – وقال أن طفلاً سيُولد وفي نفس الوقت قال أن هذا الطفل هو الله. وهذه نبوة واضحة أن الله سيتخذ لنفسه جسداً ويُولد مثل أي طفل لكنه يظل هو الله القادر على كل شيء.

نجم من السماء يشهد للرب يسوع

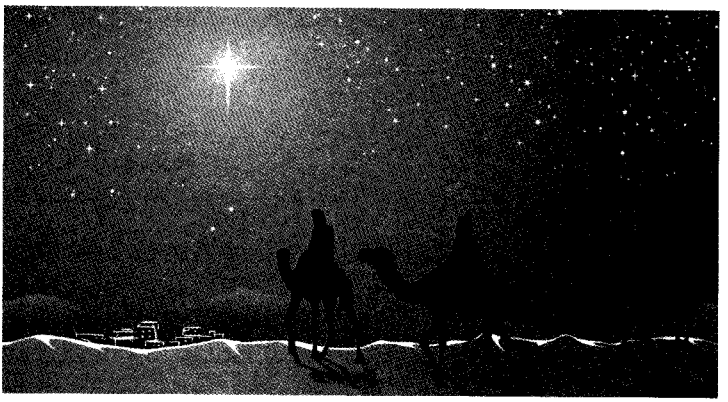

[لكنه عندما وُلد اشارت إليه السماء بنجم لامع، فجاء المجوس ليسجدوا له من أقاصي الأرض، وحمل الملائكة الأخبار السارة للرعاة وقالوا لهم " وُلد لكم مخلّص "، وبشروا بالسلام وبالإرادة الصالحة للآب "(لو٢: ١١)]

عندما وُلِد الرب يسوع شهد له نجم في السماء. وفهم المجوس – علماء في الفلك – أن ملكاً عظيماً قد وُلِد فجاءوا ليسجدوا له.

كما ظهر ملائكة كثيرين للرعاة وبشروهم بميلاد رب المجد يسوع " مخلص البشرية " وسبحوا قائلين " المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة ". وبذلك أعلن الله ذاته لكل

جماعة بشرية بالوسيلة التي تفهمها فأظهر نجماً للمجوس علماء الفلك الوثنيون وأظهر ملائكة للرعاة اليهود.

المسيح المُصالح

[وهو أيضاً المشير الإلهي لأنه أعلن لنا عن إرادة الآب الصالحة، لأنه فيه (الابن) سِر (الآب) أن يخلّص الأرض كلها. وفيه وبه يصالح العالم كله لنفسه، لأننا **عندما نتصالح مع المسيح نتصالح مع الله**. لذلك هو بالحقيقة الله وابن الله. وهو مشير الآب ورسوله إلينا لأنه هو نفسه علمنا ذلك : " هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية "(يو٣:١٦). والابن الوحيد هو ذاك الذي وُلِد من العذراء القديسة لأن الكلمة صار إنساناً وهو الله في الجسد، ولهذا السبب قيل أنه ظهر للذين على الأرض]

الإنجيل يقول عن الرب يسوع أنه " صورة الله غير المنظور.. فإنه فيه خُلِق الكل ما في السماوات وما على الأرض. ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين الكل به وله قد خُلق. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل. وهو رأس الجسد الكنيسة الذي هو البداءة بكر من الأموات لكي

يكون هو متقدماً في كل شيء. لأنه فيه سر أن يحل كل الملء. وأن **يصالح به الكل لنفسه** "(كو ١ : ١٥- ٢٠)،" وسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح "(١تي٢ : ٥).

أكد الإنجيل على إلوهية الرب يسوع وأنه هو الله الخالق وأنه قام بدور المصالح. فبعد أن كنا منفصلين عن الله، أرجعنا إليه وعرّفنا عن نفسه وقدم لنا حبه العظيم وأعلن أنه سيعاملنا كأبناء لا كعبيد (يو١٥ : ١٥).

أننا أخطئنا وانفصلنا عن الله لكنه – من محبته – لم ينتظر أن نأتي إليه ونصالحه بل هو جاء وصالحنا.

وهو يعلمنا أن نقتضي به " إن أخطأ إليك أخوك (أي أن أخوك هو المذنب) فأذهب وعاتبه (رغم أن معك الحق لكن تذهب أنت وتنهي الخصومة) بينك وبينه وحدكما، إن سمع منك فقد ربحت أخاك "(مت١٨ : ١٥)

يقول القديس إيريناؤس [(الإنجيل) يقول " قد صالحكم في جسم بشريته "، لأن الجسد البار (جسد المسيح) قد صالح ذلك الجسد الذي كان تحت العبودية بالخطية (كل إنسان)، وأتى به إلى الصداقة مع الله...

إن كان يّدعي أن الرب كان يملك جوهراً آخر للجسد فإن الأقوال عن المصالحة لن تتفق مع ذلك الإنسان لأن الذي صُولح هو الذي كان قبلاً في عداوة. فلو أن الرب كان قد اتخذ جسداً من جوهر آخر، لما كان بهذا قد صالح ذلك الإنسان مع الله، الذي كان معادياً بسبب التعدي][5]

أكد الإنجيل أن الآب يحبنا " لأن الآب نفسه يحبكم "(يو١٦ : ٢٧)، وأنه يريد أن الجميع يربحون ملكوت السماء " الذي يريد أن **جميع الناس يخلصون** وإلى معرفة الحق يقبلون "(١تي٢ : ٤)، " الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير **حسب إرادة الله وأبينا** "(غل١ : ٤)

[5] ضد الهرطقات ٥: ١٤: ٢ ـ ٣

من يؤمن بالمسيح له حياة أبدية

[المسيح يقول " الذي يؤمن بي له حياة أبدية "(يو٦:٤٦)،
وأنه واحد مع الآب ومن رآه فقد رأى الآب (يو١٢:٤٤،٤٥)]

" هذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى في ابنه "(١يو ٥ : ١١)، (يو ٣ : ٣٦)،" من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية "(يو ٦ : ٥٤)، (يو ١٠ : ٢٨).

عندما نؤمن بالرب يسوع ونتحد به في سر التناول ننال الحياة الأبدية.

أكد الرب يسوع أنه واحد مع الآب ومع الروح القدس وأنه متواجد بالكامل في الآب والآب موجود بالكامل فيه. كذلك الروح القدس

موجود بالكامل في الآب والابن وهو ما يسميه الآباء الحلول المتبادل للأقانيم. فكل أقنوم متواجد بالكامل في الأقنومين الآخرين. ولا يوجد انفصال نهائياً بين الآب والابن والروح القدس[٦]. لذلك عندما ننظر للرب يسوع نرى الآب.

مثال عملي : في شرقية الهيكل يوجد تجويف في الحائط يُسمى " حضن الآب " ومع ذلك نرسم فيه الرب يسوع. لأننا عندما ننظر للآب نرى المسيح الموجود فيه. (يو ١ : ١٨)

اسماء جديدة للابن بعد تجسده

[اسمعي لي أيتها الجزائر واصغوا أيها الأمم من بعيد، **من بطن أمي يدعون اسمي الرب** "(إش٤٩ :١). والكلمة هو الله، ولذلك لا يجهل أنه سيولد وسيتجسد من امرأة لأجلنا. وكان الكلمة يعرف أنه سيدعى المسيح يسوع، لذلك يعلن لنا الله الآب مسبقاً **الاسم الجديد** لابنه الذي سيبارك في كل أرجاء الأرض (إش٥٥:١٣)]

كان الله يعرف أنه سيعطي لنفسه اسماً جديداً بعد التجسد وأعلن ذلك قبل ميلاد الرب يسوع بحوالي ٧٤٠ سنة " يكون للرب **اسماً** علامة أبدية لا تنقطع "(إش٥٥ : ١٣).

---

[٦] للمزيد ارجع لكتاب " الله عرفنا سره " مطبوعات صوت الراعي - مراجعة د/ جوزيف موريس فلتس، وكتاب " اتحادنا بالمسيح " مطبوعات صوت الراعي - مراجعة د/ وهيب قزمان.

يشرح القديس كيرلس في كتابه " الكنز في الثالوث " ما هو الاسم الجديد الذي للابن فيقول [لقد أخذ (الله) اسم " عمانوئيل" عندما تجسد لأنه أصبح موجوداً بالجسد. فقبل أن يأتي إلى العالم ويتخذ له جسداً كان اسمه الله فقط، وبعد ميلاده من العذراء لا يُسمى الله فقط، بل " **الله معنا** " أي الله المتجسد].

وفي مقالة عن الإيمان الصحيح يقول القديس كيرلس الكبير [قبل التجسد لم يكن كلمة الله يُعرَف باسم يسوع أو المسيح ألا عند الذين وُهبوا المعرفة النبوية وعرفوا أنه يُدعى كذلك في الوقت المعين عندما يتجسد]

وفي الرسالة الرعوية الخاصة بعيد القيامة سنة ٤٢٠م يقول القديس كيرلس الكبير [متى دُعِيَ الكلمة يسوع أو المسيح ألا عندما تجسد وتأنس ؟ دُعِيَ يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم (مت١ :٢١)، وهو المسيح لأنه لأجلنا قد مُسِح. لذلك **لا يُدعى فقط كلمة الله الآب، كما لو كان بغير جسد**، بل سيُدعى يسوع والمسيح لأنه جاء في الجسد، وعنه يقول الرسول " يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد]

القديس كيرلس ينصحنا باستخدام اسماء الابن بعد تجسده، مثل يسوع وعمانوئيل والمسيح. لأن الابن اتخذ جسداً واتحد به بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. وأصبح هذا هو الواقع الجديد وهو

لن يتخلى عن جسده إلى الأبد ولن يعود بدون جسد كما كان من قبل. فلذلك من الأفضل أن نذكر واقعه الآن أنه متجسد ومتحد بجسده ونستعمل الاسماء التي تدل على ذلك.

الإنسان يتعجب من تنازل الله وتجسده

[صلى سليمان وقال " الآن أيها الرب إله إسرائيل فليتحقق كلامك الذي كلمت به داود عبدك. **هل يسكن الله حقاً مع الإنسان على الأرض** "(٢أخ٦: ١٧، ١٨). لاحظ كيف يتعجب سليمان من تجسد الكلمة. وهو فعلاً شيء عجيب أن **يسكن (الكلمة) مع الناس على الأرض**. ولكن ما هو العجيب وما هو الجديد والجدير بالاعجاب والدهشة إذا ظل الله مع الأشياء التي خلقها والتي سُر بها والتي يحفظها أو التي سيخلقها في المستقبل]

كثير من الناس – حتى الآن – لا تصدق بسهولة تجسد الله. وهم قد يكونوا متأثرين بالأفكار الوثنية القديمة التي تقدس الله وتصفه أنه عالي وعظيم وقدوس.. ولكنها في نفس الوقت تحقر من الإنسان فتصفه بالتراب والضعف والشهوات. فيجدوا صعوبة في التجسد ففي نظرهم، لا يليق بالله أن يتحد بجسد لأنه شر.

لكن الكتاب المقدس في عهديه يؤكد أن كل خليقة الله جيدة (١تي٤ :٤)، (تك١ : ٣١).

داود يتنبأ عن مكان ميلاد المسيح

[بالحقيقة هى أعجوبة فريدة وخاصة أن يتجسد الله وأن يسكن مع الناس على الأرض حسب المواعيد التي أعطيت لداود.. وبالحقيقة عرف داود أن الله ضابط الكل لن ينكر مواعيده، لكنه بحث عن المكان الذي سيولد فيه.. وعندما عرف بالروح مكان ميلاد الابن الوحيد بالجسد، بشر به وقال " ها قد وجدناه في أفراته "(مز١٣٢ :٦).. وأفراته هى بيت لحم بكل يقين لأن النبي يقول " وأنت يا بيت لحم أفراته "(ميخا ٥:٢).

ولاحظ أن الذي وُلِد في أفراته يُسَمى " إله يعقوب " الذي حلّ في المسكن (الجسد)، لأنه هناك في أفراته ولدت العذراء يسوع.

وفي موضع آخر يسميه داود " إله إبراهيم " عندما يقول " رؤساء الشعوب اجتمعوا مع إله إبراهيم "(مز٤٧:٩).

ولأن داود قد تدرب على معرفة ما سيحدث في المستقبل، رأى بعيني قلبه، وباستنارة الروح القدس " رؤساء الشعوب " أي الرسل القديسين في طاعة ربنا يسوع المسيح. وهكذا دُعِيَ إله إبراهيم وإله يعقوب ذاك الذي وُلِد من امرأة. فلماذا لا تُدعى العذراء والدة الإله]

عندما يدافع الآباء عن لقب " والدة الإله " فهذا لا يُقصد به الدفاع عن مكانة السيدة العذراء وتكريمها، بل الموضوع أخطر من ذلك بكثير ويمس صميم الإيمان المسيحي. فنسطور كان يقول أن العذراء ولدت طفلاً عادياً اسمه يسوع وبعد فترة حلّ عليه روح الرب. وهو ما ترفضه الكنيسة تماماً فهذا ليس تجسد لله بل مجرد حلول كما كان يحدث مع الملوك والأنبياء في العهد القديم.

تمسك الآباء بالفهم الحقيقي للإيمان بالتجسد. لأننا بدون تجسد الله الحقيقي والكامل فلا يكون الخلاص قد تحقق فلا ننال التقديس لأجسادنا ولا الخليقة الجديدة ولا الحياة الأبدية ولا نتحد بالله ولا نصبح أولاده. وقد أكد الإنجيل – أن من أول لحظة للحبل البتولي – أنه الله المتجسد وهذا واضح من بشارة الملاك للعذراء " الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظللكِ، لذلك القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله "(لو ١ : ٣٥).

أعلن الله عن مكان ميلاده في أفراته بيت لحم. عن طريق نبوة داود النبي وعن طريق نبوة ميخا النبي (مي٥ : ٢) وهو ما عرفه رؤساء الكهنة وقالوه لهيرودس وقت ميلاد الرب يسوع (مت٢ : ٥).

وقد وضح الكتاب المقدس أن إله العهد القديم أي " إله إبراهيم وإله يعقوب " سيتجسد، ليؤكد أن إله العهد القديم هو نفسه إله العهد الجديد، كل ما هناك أنه اتخذ لنفسه جسداً.

الرب يسوع وُلِد في " بيت لحم " جنوب إسرائيل

[يقول النبي حبقوق " يارب سمعت خبرك فجزعت، وتفكرت في أعمالك وأرتجفت... وعند مجئ الوقت المعين تظهر.. سيأتي **الله** من تيمان والقدوس من فاران "(حبقوق٣:٢).

كيف يدعوه النبي **الله** ؟ ألا يخبرنا أنه سوف يأتي من تيمان ومن جبل فاران ؟ وتيمان تعني الجنوب، ونحن نعلم أن المسيح ظهر ليس في الشمال، بل في الجنوب من اليهودية حيث توجد بيت لحم. لذلك فالذي يُدعى الرب والله جاء من الجنوب، أي من اليهودية، لأنه وُلِد في بيت لحم]

تنبأ حبقوق النبي عن مكان ميلاد ربنا يسوع وقال أنه سيُولد في بلاد الجنوب وفعلاً وُلِد ربنا يسوع في بيت لحم التي تقع جنوب إسرائيل.

صراع إسرائيل مع الله ثم عودتهم إليه

[في سفر التكوين مكتوب " وبقى يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه وقال له " أطلقني لأنه قد طلع الفجر " ولكنه قال له " لا أطلقك إلا إذا باركتني " وبعدها مكتوب " وباركه هناك ". ودُعِي اسم ذلك المكان وجه الله، وقال " لأنني **رأيت الله وجهاً لوجه** وحُفِظت حياتي" وأشرقت الشمس عندما عبر المكان الذي سماه وجه الله وهو يخمع على فخذه "(تك٣٢:٢٤-٣١)..

أن معنى هذا النص سري لأنه يشير إلى مصارعات اليهود مع المسيح، لكنهم سوف يستسلمون ويطلبون بركته عندما يعودون إليه بالإيمان في الأيام الأخيرة. لكن لاحظ هذا : كان يعقوب يصارع مع إنسان، ومع هذا دعاه يعقوب " وجه الله ".. ليس هذا فقط بل هو عرف أنه الله بالحقيقة. ولذلك قال أني رأيت الله وجهاً لوجه لأنه هو " صورة جوهر الآب "(عب١:٣). وفي هذا المعنى تحدث الرب مع اليهود عن الله

الآب " لم تروا وجهه وليست كلمته ثابته فيكم لأنكم لا تؤمنون بالذي أرسله إليكم "(يو٥:٣٧،٣٨).

لكن الله بالحقيقة هو ذلك الإنسان الذي صارع يعقوب. والكتب المقدسة تقدم لنا برهاناً على ذلك " وقال الله ليعقوب قم أصعد إلى بيت إيل، وأقم هناك وأصنع مذبحاً **لله الذي ظهر لك** حين هربت من وجه عيسو أخيك "(تك٣٥:١). لأنه عندما عاد من بين النهرين وكان خائفاً من عيسو، أرسل أولاده فعبروا.. وظل هناك وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر "(تك٣٢:٢٤)]

ظهر رجل ليعقوب وصارعه طوال الليل وعرف يعقوب أن هذا الرجل هو الله. في النهاية طلب يعقوب من الله أن يباركه وهذا ما فسره القديس كيرلس أن اليهود سيقاومون الله لكنهم في النهاية سيعودون إليه.

دانيآل يرى الله المتجسد

[أخبرنا دانيآل النبي عن الرؤيا التي رآها وقال " كنت أرى رؤيا في الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن الإنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه (أوسعوا له الطريق ليقترب) قدامه، فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي لن يزول وملكوته لن ينتهي "(دا ٧:١٣،١٤).

اسمع كيف يخبرنا دانيآل أنه لم ير مجرد إنسان، حتى لا يؤمن أحد أن عمانوئيل مثل أي واحد منا، بل قال بتدقيق " مثل ابن الإنسان " لأن الكلمة هو الله لكنه صار في شبه الناس ووُجد في الهيئة كإنسان (فيلبي٢:٧،٨). لكي ما نعرف أنه هو نفسه الله المتأنس وأنه ليس إنساناً فقط ولا هو بدون ناسوت. لذلك يقول دانيآل أنه قد أُعطى الرئاسة والكرامة التي له منذ الأزل، لأنه يقول : " وكل الشعوب والأمم والألسنة تتعبد له ".

لذلك فالابن الوحيد كلمة الله حتى وهو في الجسد تعبده كل المخلوقات. وأيضاً وهو في الجسد له ملكوت الآب، لأنه هو أيضاً ملكوته]

دانيآل النبي رأى الله المتجسد يسوع المسيح في رؤيا جميلة وقال أنه هو الله لأن الشعوب ستتعبد له.

آلام المسيح المحيية

[يحدثنا القديس بولس عن **الآلام المخلصة**. فيقول " لكي بنعمة الله يذوق الموت "(عب٢:٩). وأيضاً " سلمت إليكم أولاً ما استلمته أنا أيضاً أن المسيح مات عن خطايانا حسب الكتب وأنه دُفن وقام في اليوم الثالث "(١كو١٥:٣،٤).

وكذلك بطرس الحكيم جداً يقول هو أيضاً " فإذ قد تألم المسيح بالجسد لأجلنا "(١بط٤:١). هكذا نؤمن أن ربنا يسوع المسيح الواحد أي الله الكلمة، رأيناه في شكل بشري عندما تجسد وتأنس وصار مثلنا. لكن **كيف ننسب إليه الآلام وفي نفس الوقت نؤكد أنه كإله لا يتألم ؟ الآلام تخص التدبير. والله الكلمة جعل ما يخص جسده يخصه هو نفسه بسبب الاتحاد الفائق الوصف**. لكنه ظل فوق الآلام حسب مقتضى طبيعته لأن الله لا يتألم]

الله طبيعته لا تخضع للآلام مثلنا، لكنه عندما تجسد أي اتخذ جسد حقيقي واتحد به أي أصبح واحداً معه، فقد نسب آلام جسده لنفسه.

اتحاد النفس بالجسد يشبه اتحاد اللاهوت بالناسوت

[ولا غرابة فيما نقول، لأن نفس الإنسان تظل فوق الآلام عندما يتألم جسدها. ونحن لا نعتبر النفس بعيدة عن الآلام، أو أن الآلام عندما تحدث للجسد لا تخص النفس.. لأن الجسد الذي يتألم هو جسدها.. وعندما يتألم الجسد فالنفس المتحدة به وهى من طبيعة بسيطة لا تُلمس، لا تظل بعيدة عن الألم، لأن الجسد الذي يتألم ليس غريباً عنها بالمرة. هكذا يمكننا أن نفهم آلام المسيح مخلصنا كلنا]

أن النفس البشرية لا تشعر بالآلام التي تقع على الجسد رغم أنها متحدة به، لكن تُنسب الآلام إليها، لأنها تقع على نفس الشخص فلا نقسمه لأثنين : جسد وروح. بل شخص واحد يتألم.

العصفورين معاً رمز للمسيح الواحد

[وسوف أستخدم أمثلة توضح لنا جزئياً (كما يرى المرء ظلال شيء) كيف بسبب الاتحاد اشترك الابن الوحيد في الآلام ومع ذلك ظل حراً من الآلام كإله.

في سفر اللاويين يأمر الله بابعاد الأبرص عن المحلة لأنه ملوث ونجس، لكن عندما يبرأ فإنه يتطهر. ولذلك يأمر الناموس الكاهن أن يؤخذ للمتطهر عصفوران حيان طاهران وخشب أرز وقرمز وزوفا ويأمر الكاهن أن يذبح العصفور الواحد في أناء خزف على ماء حي (ماء جارٍ). أما العصفور الحي فيأخذه مع خشب الأرز والقرمز والزوفا ويغمسها مع العصفور الحي في دم العصفور المذبوح على الماء الحي، وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات فيطهره ثم يطلق العصفور الحي على وجه الصحراء (لا١٤:٤-٨).

هكذا **بدم المسيح الكريم** وبالمعمودية المقدسة **نتطهر** ونغتسل من لطخات القذارة العالقة بنا ومن موت الشهوات الحسية. وعلينا أن

نلاحظ كيف تتحدث الأسفار المقدسة بطريقة خفية. فالأسفار تُشَبه المسيح بعصفورين - دون أن يعني هذا وجود ابنين - بل الواحد من أثنين أي لاهوت متحد بالناسوت. العصفوران طاهران وهذا يشير إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يخطئ، لأن الكلمة قدوس في لاهوته وناسوته. ولذلك استخدم الكتاب المقدس الطيور كإشارة ورمز إليه. فارتفاع الطيور في الهواء هو رمز إلى ارتفاعه وإلى أنه من فوق، لأن المسيح هو الإنسان الذي من السماء (١كو١٥:٤٧) رغم أنه وُلد من العذراء بالجسد.. كيف هو من فوق ومن السماء ؟ الله الكلمة من فوق ومن الآب، أخذ جسداً من العذراء القديسة وجعله جسده الخاص. ورغم ميلاده من العذراء إلا أننا نقول أنه نزل من السماء وأنه من فوق " ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان"(يو٣:١٣). وهذا القول نفهمه على النحو التالي :

أن **الكلمة يعطي جسده من صفاته**، حتى أننا يمكننا أن نقول **بسبب الاتحاد أنه (الجسد) نزل من السماء**، لأنه (الكلمة) عندما اتحد به جعله واحداً معه. ولاحظ أنه عندما يُذبح العصفور الأول يُغمس العصفور الثاني في دم الأول دون أن يموت. ما معنى هذا ؟ أن **الكلمة حي وأن مات جسده، وبسبب الاتحاد اشترك هو في الآلام** لأن الجسد الذي تألم هو جسده هو. وهو الواحد بعينه، اقتبل هو نفسه الآلام دون أن تتألم طبيعته. ومما يساعدنا على الفهم - بل ضروري ونافع لنا - أن نعرف الفرق بين التعبيرات المختلفة التي تُستخدم للحديث عن المسيح الواحد وهى **كلها لا تنطوي على أي نوع من التجزئة** بل

تتحدث عن **الواحد دون تقسيم**، ودون أن تشير إلى ابنين رغم أن ما حدث للمسيح وكُتب (في الأسفار المقدسة) يبدو ظاهرياً غير منسجم مع بعضه]

كانت الشريعة في العهد القديم تأمر الإنسان الذي شُفي من مرض البرص أن يذهب للكاهن ويحضر عصفورين. الكاهن يذبح واحد وينضح دمه على الإنسان المتطهر ويطلق العصفور الحي حراً. والعصفورين يرمزان للاهوت والناسوت المتحدين في ربنا يسوع. وهذا كان رمزاً للسيد المسيح الواحد. فالرب يسوع شخص واحد تُنسب له الآلام والموت. فرغم أنه ذاق الموت بالجسد (يرمز له بالعصفور الذي ذُبح) ألا أن لاهوته لا يتألم ولا يموت (يرمز له بالعصفور الذي أُطلق حياً).

لم يزل إلهاً أتى وصار ابن بشر

[أننا نقول أن الله وُلِد من امرأة حسب الجسد، رغم أنه هو نفسه يعطي الميلاد لكل البشر ويدعو الأشياء التي لم تُولد بعد إلى ميلادها في الوقت المعين. فكيف يُولد من امرأة ويخلق الأشياء في ذات الوقت؟ هذا ما أعنيه من التعبيرات المختلفة التي تصف الواحد بعينه. فهو **وُلِد عندما صار إنساناً مثلنا. وهو يدعو الأشياء التي لم تُوجد بعد إلى الوجود لأنه الله**]

نقول في التسبحة " لم يزل إلهاً أتى وصار ابن بشر لكنه الإله الحقيقي أتى وخلصنا ". الرب يسوع لم يفقد لاهوته عندما تجسد بل ظل هو الله ضابط الكل رغم أنه مولود من امرأة.

التجسد هو أن الابن اتخذ لنفسه جسداً في الزمن الذي حدده وهذا جسد مخلوق وجديد لم يكن موجوداً من قبل التجسد. الابن ظل هو الابن وهو متحد بالجسد ولم يفقد أي قدرة من لاهوته.

البكر والابن الوحيد

[وهو يُدعى البكر والابن الوحيد الجنس. وإذا فحص أحد ما عن معنى الكلمتين وجد أنه البكر لأن له إخوة كثيرين. لكنه الابن الوحيد وحده الذي لا إخوة له بالمرة. ومع هذا هو ذاته البكر والابن الوحيد. كيف؟ **هو البكر ضمن إخوة كثيرين بسبب الطبيعة البشرية التي أخذها، وهو نفسه الابن الوحيد لأنه وحده مولود من الله الآب**]

عندما نتحدث عن طبيعة ربنا يسوع اللاهوتية فهو الابن الوحيد في الثالوث القدوس. بينما لو تحدثنا عن تجسده فهو الأخ البكر الذي يقود البشرية للسماء. والرب يسوع بتجسده هو أول من أتم الخلاص في جسده ثم باتحاده بنا نقل لنا غلبته على كل ضعفات

الجسد. وكذلك هو أول من قام من الأموات وأعطانا أن نقوم معه (أف٢ : ٦) لذلك يُدعى البكر من الأموات (كو ١ : ١٨).

الرب يسوع أعتمد ليعطينا الروح القدس

[وأيضاً قيل عنه أنه تقدس بالروح وأنه أيضاً يقدس كل الذين يأتون إليه. وأعتمد حسب الجسد، ولكنه يعمد بالروح القدس كل الذين يأتون إليه. فكيف هو نفسه يتقدس وهو الذي يُقدس ؟ كيف أعتمد ويُعمد ؟ **يتقدس كإنسان (لأجلنا) ولذلك أعتمد، ولكنه يُقدس إلهياً كل الذين يعمدهم بالروح القدس**]

الرب يسوع واحد مع الروح القدس في الثالوث القدوس المساوي وغير محتاج أن ينال المعمودية ليسكن الروح القدس فيه مثلنا، لكنه أعتمد لينال الروح القدس في جسده ليهبنا، بقوة وحدته مع الروح القدس ثبات عطية الروح القدس فينا، فيصبح نوالنا على الروح القدس ثابت وبغير انفصال ولكل من يؤمن بالرب يسوع. على عكس العهد القديم الذي كان الروح يُعطى للملوك والأنبياء فقط ولفترات مؤقتة.

الرب يسوع نال الروح القدس نفسه وليس مواهب فقط كذلك يهبنا أن ننال الروح القدس نفسه لا مواهبه فقط. وعندما يسكن فينا

الروح القدس فالآب أيضاً يسكن فينا والابن يسكن فينا. " إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً "(يو ١٤ : ٢٣)،" بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا (في الترجمة السبعينية يكون ساكناً فينا) أنه قد أعطانا من روحه"(١يو ٤ : ١٢، ١٣)

القديس كيرلس الكبير يقول [ما هو السبب الذي من أجله اختار المسيح أن يُمسح ؟ السبب هو لأننا نحن صرنا مقفرين من الروح بذلك الحُكم القديم "لا يسكن روحي في الإنسان لأنه بشر"(تك٦:٣)..

هذا الذي تجسد من أجلنا، فقد مُسِح بالزيت الروحاني زيت التقديس، ونزل عليه الروح القدس بالحق، وهو قد قَبِل الروح لا لأجل نفسه، بل لأجلنا، كما أن الروح غادرنا ولم يسكن فينا لكوننا جسد، لذلك امتلأت الأرض من الحزن، لأنها قد حُرمت من المشاركة في الله][٧]

القديس كيرلس الكبير يقول [حينما يقول الإنجيلي الحكيم عنه " أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح "، فلا تعثروا ولا تخطئوا في أفكاركم الداخلية وتحيدوا عن تعليم الحق، فيما يخص الطريق والكيفية التي بها تقدس الكلمة الذي هو الله، بل بالحرى افهموا حكمة التدبير التي بسببها، هو موضوع إعجابنا، لأنه قد صار جسداً

---

[٧] تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس الكبير طبعة ٢٠٠٧ صفحة ٨٤

وأصبح إنساناً، لا لكي يتحاشى كل ما يخص بحالة الإنسان ويحتقر فقرنا، بل لكي نغتني نحن بما هو له، وذلك بإنه قد صار مثلنا في كل شيء ما خلا الخطية، لذلك فهو يتقدس كإنسان، ولكنه يُقَدس كإله، لأنه إذ هو بالطبيعة إله صار إنساناً][8]

يقول الإنجيل " فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره "(٢كو٨ : ٩). الرب يسوع جاء وتجسد وهو الغني، ترك مجد السماء وعاش متواضعاً على الأرض ليهبنا من غناه الإلهي. أنه مثل الطبيب الذي يهتم بالمرضى ليعالجهم ولا يستنكف منهم ويحتقرهم ويتعالى عليهم. وهو ما نسبح به الله ونشكره في التسبحة قائلين " هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له ".

الرب يسوع يتألم في الجسد كإنسان

[هو نفسه أقام الموتى لكنه أقيم من الموت، وهو الحياة بطبيعته لكنه أُحيي. كيف يكون هذا ؟ هو ذاته الذي أُقيم من الأموات وقيل أنه أُحيي حسب الجسد، ألا أنه يُقيم ويُحي الموتى كإله. هو يتألم ولكنه لا يتألم، أي أنه **يتألم في الجسد كإنسان لكنه غير قابل للألم كإله**]

---

[8] تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس الكبير طبعة ٢٠٠٧ صفحة ٧٦

الله أكد على وحدانية الثالوث في العمل وهى ما عبّر عنه الآباء بالجملة المشهورة " كل شيء من الآب بالابن في الروح القدس" ومن الأمثلة التي شرح بها الإنجيل وحدانية العمل في الثالوث أنه عندما تحدث عن قيامة ربنا يسوع :

مرة قال أن الرب يسوع **قام بقوته من الموت** : " قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين "(١كو١٥ : ٢٠).
ومرة قال أن **الآب أقامه من الموت** : " الله الآب الذي أقامه من الأموات "(غل١ : ١).

ومرة قال أن **الروح القدس أقام الرب يسوع من الموت** : " إن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم "(رو٨ : ١١).

المسيح في صلاته من أجلنا

[هو نفسه **اشترك في الصلاة معنا** إذ قال أنتم تسجدون لمن لا تعلمون، ولكننا نسجد لمن نعلم. وهو عبد معنا لأنه أخذ الطبيعة التي تسجد. لكن **إليه أيضاً تُقدم العبادة** لأنه اسمى من كل المخلوقات التي تسجد، فهو الله]

المسيح اشترك في الصلاة معنا لأنه اتحد بالطبيعة البشرية فصار يطلب من أجلها. للمزيد في هذا الموضوع الهام أنظر الملحق في آخر الكتاب.

لا نفصل بين اللاهوت والناسوت

[لكن لا يجب أن نفصل بين اللاهوت والناسوت، **ولا أن نقبل الاعتقاد بأن الناسوت متصل باللاهوت اتصالاً شرفياً**، ولا نقبل القول بأننا نعبد الناسوت معه، لأن هذا القول يطفح بعدم التقوى.. بل نعبد الواحد كلمة الله المتجسد الذي تأنس وأخذ جسداً اتحد به، له نفس عاقلة مثل نفوسنا. وعندما نعبد الابن لا يجب علينا أن نفصل بين الناسوت واللاهوت أو نعتقد بوجود شخصين (أقنومين) لأن الله ضابط الكل لم يطلب منا نحن والملائكة أن نعبد بكرين، لأن البكر الذي أدخل إلى العالم هو واحد (عب١:٦). وإذا دققنا النظر في الطريقة التي دخل بها إلينا ستجدها سر التدبير الخاص بالتجسد. فلقد أدخل البكر إلى العالم عندما تأنس، لكنه في العالم دائماً وفوق كل ما هو أرضي، وهو بالحقيقة في مجد الألوهة. والفرق بينه وبين المخلوقات هو الفرق بين الخالق والمخلوقات، لأنه الله بالطبيعة واسمى من كل الأشياء.

واحد فقط نسجد له - كما قلت سابقاً - حتى عندما تجسد وصار البكر ضمن إخوة كثيرين. واحد هو الذي سجد له المولود أعمى عندما شُفي بمعجزة، لأن الإنجيلي يذكر " ووجده يسوع في الهيكل

وقال له : هل تؤمن **بابن الله** ؟ فقال الذي شُفي : ومن هو يا سيد حتى أؤمن به ؟".. عندئذ أعلن المسيح عن نفسه متجسداً بالكلمات التالية " **الذي تراه وهو الذي يكلمك هو هو** "(يو٩: ٣٧). وهنا استخدم المسيح صيغة المفرد وهذا يعني أنه لم يسمح بأن نفصل اللاهوت عن الناسوت. لذلك إذا أراد أحد ما أن يصف عمانوئيل بأنه إنسان فقط فعليه أن يتذكر أن الاسم لا يشير إلى إنسان فقط بل إلى كلمة الله الذي اتحد بطبيعتنا. والواحد ذاته سجد له التلاميذ عندما رأوه ماشياً على المياه " وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله"(مت١٤: ٣٣).

ونحن لا نقول أننا نعبد الناسوت مع اللاهوت لأن في هذا القول فصل شنيع، فكلمة " **مع** " تقال ضمن حديث واضح عن طبيعة مركبة سوف تغري بالحديث عن أثنين. وعادة نحن لا نتحدث عن واحد بعينه ونقول أنه يحيا مع نفسه أو أكل مع نفسه أو صلى مع نفسه أو مشى مع نفسه.. ذلك أن حرف الجر " **مع** " متى أُضيف، أصبح يعني الإشارة إلى شخصين (أقنومين). لذلك كل من يقول أنه يعبد الناسوت مع اللاهوت يعتقد بدون شك بوجود ابنين، ويفصل اللاهوت عن الناسوت. والاتحاد نفسه إذا أُخذ على أنه مجرد مشاركة في الكرامة أو السلطان يصبح اتحاداً غير حقيقي.. وهذا ما أوضحناه بكلمات كثيرة سابقاً]

الرب يسوع شخص واحد وهو لم يفصل لاهوته عن ناسوته في حديثه مع المولود أعمى ومع التلاميذ.

فقد سأل المولود أعمى " هل تؤمن بابن الله ؟ فأجاب : من هو لأؤمن به فقال له يسوع " أنا هو " فسجد له المولود أعمى.

ومع التلاميذ بعدما هدأ الرياح العاتية سجدوا له وقالوا " بالحقيقة أنت ابن الله ".

ونحن لا نفصل في أي الشخص بين روحه الإنسانية وجسده وكإنهما كيانان منفصلان، بل نقول " **مينا** يصلي " ولا نقول "روح **مينا** تصلي". نقول "**وليم** صام" ولا نقول "جسد **وليم** صام".

السر (الاتحاد) الذي به نخلص

[البعض يثرثر ويهذر على التدبير الخاص بتجسد الابن الوحيد، ويحاولون أن ينالوا من السر الكريم والعظيم والغالي جداً عندنا وعند الأرواح السمائية.. **هذا السر الذي به نخلص**، يحاولون أن يشوهوا جماله الحق. مع أن الأجدر بهم أن لا يستهينوا بما هو حقيقي بل عليهم أن يتطلعوا بعيون فاحصة مشتاقة إلى أن تعرف عمق الأسفار المقدسة حتى يسيروا على ذات الدرب الصحيح تابعين الآباء القديسين الذين علموا مستنيرين بالروح القدس وحددوا لنا الإيمان وقالوا أن

الله الكلمة مولود من ذات جوهر الآب بطريقة لا يُعبر عنها وأنه به خُلقت كل الأشياء ما في السماء وما على الأرض، الذي لأجلنا ولأجل خلاصنا نحن البشر نزل من السماء وتجسد وتأنس وصعد إلى السماء وسيأتي في وقته ليدين الأحياء والأموات]

القديس كيرلس لخص دفاعه عن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت في نقاط أساسية :

١ – أننا **لا يمكن أن نتصل بالله بدون المسيح**، وبالتالي يجب أن يكون المسيح في مركز يجعله قادراً على تحقيق العلاقة الإلهية – الإنسانية بين الله والإنسان، وهذا يتحقق في حالة واحدة فقط، عندما يكون **المسيح أقنوماً (شخص) واحداً : الله المتأنس.**

٢ – أن **كل أعمال المسيح الخلاصية تحققت في الجسد**، ولم يتم عمل واحد منها خارج الجسد. ويترتب على ذلك أن **كل انفصال بين اللاهوت والناسوت يلغي تماماً ونهائياً عمل الخلاص نفسه.** ولعل أفضل مثل على هذا هو الإفخارستيا التي تصبح عديمة القيمة بالمرة إذا كان الذي على المذبح جسد المسيح فقط وليس جسده المتحد بلاهوته. بل أن القديس كيرلس يقول صراحة : " بدون اتحاد اللاهوت بالناسوت نصبح نحن

" آكلي لحوم بشر ". ولحم البشر لا يفيد بالمرة وإنما جسد الابن الوحيد هو الذي يُقيم ويُحي. ونفس القياس ينطبق على المعمودية وعلى الصليب والقيامة.

٣ – من جهة العبادة أي تقديم الصلاة والسجود يقول القديس كيرلس أننا **لا نعبد المسيح الإله المجرد عن الجسد لأننا لم نعرفه إلا في الجسد**. ونحن نعبد المسيح الواحد دون أن نفصل بين لاهوته وناسوته لأن **كل عبادة تُقدم للمسيح هى اقتراب من الآب من خلال ما حققه يسوع لأجلنا أي من خلال ناسوت المسيح**. حتى الصلاة المشهورة " أبانا الذي في السموات.." أصبحت لنا الجسارة على أن نتفوه بها بسبب التجسد عندما " سكن الكلمة فينا " أي في طبيعتنا (يو ١: ١٤) فأصبح رأس البشرية الذي من خلاله يمكن أن نتقدم للآب.. وهذا هو معنى اتحاد اللاهوت بالناسوت، ذلك أن المسيح الواحد هو رأس البشرية لأنه تجسد وهو يقدمنا للآب لأنه من ذات جوهر الآب. وعندما نسجد للمسيح فإننا نعبده لأنه مات عنا (في الجسد)، وقام وصعد إلى مجده (بالجسد)، وأصبحت حياته الإلهية المتأنسة هى وحدها التي تؤهلنا لكل خيرات الدهر الآتي. وهنا يظهر بكل وضوح أن الفصل بين اللاهوت والناسوت هو قضاء

على عبادتنا للمسيح، لأننا إذا قلنا أننا نسجد للاهوت دون الناسوت أو مع الناسوت فإننا هنا نطرح الخلاص الذي قدمه لنا المسيح جانباً. وعلى حد تعبير القديس كيرلس نفسه : " كل من يطلب الابن الوحيد كإله فقط هو من يسعى إلى احتقار ما فعله الرب لأجلنا ". وعلى ذلك فعبادة الابن الوحيد كإله فقط تعني بكل وضوح عدم عبادته. لأن تجاهل التجسد لا يعطي لنا الفرصة لكي نشكره وكلنا يعلم أن سر التناول يُسمى " سر الشكر " أي الإفخارستيا.

اتحاد حقيقي وليس مجرد اتصال بين اللاهوت والناسوت

[وهم يَدَعون بأن **الكلمة لبس - بشكل مستقل عنه** (مثل من يلبس الرداء ويصبح الرداء ملتصقاً به فقط) - الجسد الذي وُلِد من العذراء القديسة، وأنه نسب إلى جسده نوعاً من المجد بسبب الصلة التي نشأت نتيجة اتصال الكلمة بهذا الجسد. وهم لا يؤمنون بالاتحاد بل يقولون أن الابن في الجسد حصل من الله على مساواة في الكرامة والسلطان حتى أنه دُعِي بالأسماء المعروفة. المسيح والابن والرب.

هذا اختراع لا صحة له على الاطلاق. والإنسان الذي اخترعوه وقالوا أنه تألم وأن آلامه تُنسب للكلمة مادام الإنسان يسوع المسيح قد

اتصل بالله الكلمة.. **هذا تعليم بانفصال اللاهوت عن الناسوت أي بقاء الطبيعتين كل على ما هى عليه بدون اتحاد]**

يؤكد القديس كيرلس على أنه تم اتحاد حقيقي وليس مجرد اتصال بين اللاهوت والناسوت كمن يرتدي ثياب تبقى غريبة عنه.

ونحن نؤكد على الاتحاد الحقيقي وعلى عدم الانفصال فنقول في القداس الإلهي أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين. أننا نؤمن باتحاد حقيقي وليس مشاركة أو اتصال حيث تظل كل طبيعة غريبة عن الأخرى. صحيح أنهما لم يتغيرا (بدون امتزاج أو اختلاط أو تغيير) ولكن الناسوت اكتسب قوة اللاهوت باتحاده به.

لا نقسم عمانوئيل إلى إله وإنسان

[أنني أريد أن أكشف ضعف هذا الرأي على قدر استطاعتي. وسوف أبدأ بشرح ما تذكره الأسفار الإلهية عن الابن المتجسد !

لقد جاع المسيح، وتعب من الرحلة (المشي)، ونام في القارب مرة، وضربه معذبوه، وجلده بيلاطس، وبصق عليه الجنود، وطُعن في جنبه بالحربة وقُدم له الخل الممزوج بالمر. بل أكثر من هذا ذاق الموت وتألم على الصليب وتحمل اهانات اليهود..

أننا **نرفض أن نقسم عمانوئيل إلى إنسان مستقل عن الكلمة**، بل نعترف بأن الكلمة صار إنساناً بالحقيقة مثلنا وأنه هو نفسه إله من إله. وإذ اتخذ شكلنا و صار إنساناً مثلنا مولوداً من امرأة، وأنه بسبب اتحاده بالجسد تألم بكل الإهانات لكنه أحتفظ بما له من عدم الألم لأنه ليس إنساناً فقط بل هو نفسه الله. وكما أن الجسد هو جسده هكذا آلام الجسد ورغباته غير الدنسة وكل الإهانات التي وجهها

البعض، كل هذا احتمله هو لأنه كان موجهاً إلى جسده الخاص به. لقد تألم دون أن يتألم. ولما وضع ذاته لم يتحول إلى بشر لأنه احتفظ بخواص طبيعته وبكل ما يجعله اسمى من المخلوقات، ولهذا وحده يمكننا أن نتحدث عن تواضعه]

الإيمان الأرثوذكسي يرفض تماماً أن يقسم الرب يسوع إلى إله مستقل وإنسان مستقل، بل يؤكد على الاتحاد الحقيقي بين اللاهوت والناسوت في المسيح الواحد فهو شخص واحد من بعد الاتحاد بإرادة واحدة وفعل واحد. لذلك تمسك الآباء بالجملة المشهورة التي صارت شعاراً لكنيستنا القبطية " **طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد** ".

الرب يسوع هو الإله المتجسد وهو واحد وكان يجوع ويعطش ويأكل ويتعب لأنه إنسان حقيقي مثلنا تماماً ولم يكن مجرد ظهوراً في شكل إنسان. أو سكنى لله في إنسان مثلما يسكن فينا الله. لقد اتخذ الكلمة لنفسه جسداً وعاش الحياة البشرية بكل ما تحمله من غرائز وانفعالات وألم.

الله ثابت لا يتغير

[إذا افترضنا أنه تغير أو تحولت طبيعته الإلهية إلى طبيعة جسدية فإن ذلك يقتضي منا الاعتراف بإرادتنا أو بغير إرادتنا أن الطبيعة الإلهية قابلة للتغيير. لكنه ظل غير متغير رغم تجسده لأن من خواص

الطبيعة السمائية عدم التغير وعدم الألم بينما من خواص الجسد التغيير. وعندما أخذ جسداً أصبح جسده الخاص به لأنه اتحد به]

الله يختلف عن البشر. فالبشر دائمي التغيير، بينما الله ثابت لا يتغير " الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران "(يع١ : ١٧).
الله ظلت طبيعته كما هى لم تتغير عندما تجسد، كل ما حدث أنه اتخذ له جسداً ولكن طبيعته الإلهية ظلت كما هى. كذلك طبيعته البشرية ظلت كما هى لم تتغير لكنها بالتأكيد اكتسبت مجد وقوة اللاهوت نتيجة الاتحاد. وهو ما عبّر عنه الآباء كثيراً فيقول القديس كيرلس الكبير [عندما تطرحون قطعة **خبز في خمر أو زيت أو أي سائل آخر**، فستجدون أنها صارت تحمل خاصية ذلك السائل الخاص، وعندما يُوضع **الحديد في النار**، فإنه يصير ممتلئاً بكل فاعليتها، وبينما هو بالطبيعة حديد، لكنه يعمل بقوة النار. وهكذا كلمة الله المُحيي إذ قد وحد نفسه بجسده الخاص بطريقة معروفة لديه (فقط)، فقد منحه قوة إعطاء الحياة][٩]

الرب يسوع هو الديان

[إذا قالوا أن هذا الإنسان وحده (المسيح) هو الذي نال الكرامة والمساواة. فماذا ستقولون عندما ترون الله ومخلص الكل يجلس

---

[٩] تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس الكبير طبعة ٢٠٠٧ صفحة ٦٩٢

ويدين ليس حسب الظاهر بل بالعدل (يو٧:٢٤) ؟. **لماذا يجلس هو وحده مع الآب** ؟ وكيف سيأتي كديان ومعه الملائكة تخدمه ؟ لماذا تعبده هو وحده ؟ وكذلك كل الأرواح السمائية ؟ أن الهراطقة يوافقون على ما نقوله ويعترفون أنه حق أي أن الآلام لم تمسه كإله، لكنهم مخطئون جداً في فهمهم لآلام المسيح]

الإنجيل واضح جداً ويؤكد أن الرب يسوع سيأتي ليدين ويحاسب كل إنسان " لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً "(٢كو٥ : ١٠)، (رو١٤ : ١٠)، (مت٢٥) فكيف لا يكون الله ؟ وكلنا نعرف أن الله فقط هو صاحب الحق في محاسبة البشر.

الاتحاد أساس الإيمان الصحيح

[**ونحن نضع الاتحاد كأساس للإيمان.** ونعترف بأنه تألم في الجسد ولكنه ظل فوق الآلام لأن عدم التألم من طبيعته. **وعلينا الاحتراس من فصل اللاهوت عن الناسوت ومن التقسيم إلى طبيعتين أو فصل كل طبيعة عن الأخرى،** لأننا إذا فعلنا ذلك ونسبنا الآلام إلى جسده - الذي جعله جسده الخاص - فإننا نضع الذي وُلِد من العذراء القديسة أي عمانوئيل - الذي يعني اسمه " معنا الله " - في ذات مقام موسى وهرون.

وعلى الرغم من أنه يقول من خلال الأنبياء : " بذلت ظهري للضاربين.. وجهي لم أستر عن العار والبصاق "(إش٥٠:٦)، وأيضاً : " ثقبوا يدي ورجلي. أحصوا كل عظامي "(مز٢٢:١٦،١٧)، " وضعوا في طعامي علقماً وفي عطشي سقوني خلاً "(مز٦٩:٢١)

فإننا نخصص كل هذه للابن الوحيد الذي **تألم تدبيرياً في الجسد** حسبما تعلم الكتب المقدسة " لأننا بضرباته شُفينا "(إش٥٣:٥). ولكننا نعترف أنه غير قابل للألم بالطبيعة. لذلك كما قلت سابقاً هو نفسه إله متألم، والآلام تخص الناسوت أي تخصه هو، لكن من حيث هو إله، هو غير قابل للآلام.

هذا هو الاعتقاد الصحيح الذي يجعلنا أتقياء، وهذه هى التعاليم الأرثوذكسية التي تجعلنا نتقدم وننمو ونسعى إلى جائزة دعوتنا العليا (في٣:١٤) في المسيح يسوع، الذي به وله مع الآب المجد مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين]

ينهي القديس كيرلس كتابه وهو يُشدّد على **الاتحاد الحقيقي والتام بين اللاهوت والناسوت في الرب يسوع وليس مجرد مصاحبة** كما كان نسطور يقول. ويؤكد **أننا لا نفصل اللاهوت عن الناسوت في المسيح الواحد،** لأننا إذا فصلنا اللاهوت عن الناسوت، فإننا نضع المسيح في مستوى أي إنسان عادي أو مجرد نبي يحل عليه الله ويعمل به.

وهنا نحب أن ننبه القارئ ونقول بوضوح إن عقولنا البشرية ترتاح أن تنسب المعجزات للاهوت وأن تنسب الأتعاب للجسد (كما قال طومس لاون ونسطور) لكن القديس كيرلس يحذرنا من هذا، لأن الرب يسوع شخص واحد فلا يصح أن نقسمه لأثنين. ولنفهم خطورة هذا التقسيم سنعطي مثل مشهور وهو لقب العذراء " والدة الإله ". لقد قال النسطور أن العذراء لم تلد اللاهوت، فلا يصح أن نلقبها بوالدة الإله لأنها ولدت الناسوت فقط. وهذا ما رفضته الكنيسة بشدة لأنه يقسم المسيح. ولا يوضح قوة الاتحاد بل يظهر الناسوت منفصل عن اللاهوت. ورغم أن الجميع يعلم تماماً أنها **لم تلد اللاهوت** لكن شددّوا على تسمية العذراء **بوالدة الإله** لأنها ولدت **شخص حقيقي هو الإله المتجسد الواحد الذي فيه اتحد اللاهوت بالناسوت اتحاداً حقيقياً.**

لقد تمسك آباء كنيسة الأسكندرية بالتعبير المشهور " **طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد** " وحاربوا من أجل هذا الشعار للتأكيد على الاتحاد الحقيقي في المسيح الواحد.

أن الرب يسوع شخص واحد غير منقسم وهو قد تألم تدبيرياً أي وهو متجسد ومتحد بجسده الخاص الحقيقي المساوي لأجسادنا.

ملحق (١)

المسيح أتم الخلاص في جسده ثم نقل لنا غلبته باتحاده بنا

الرب يسوع اتخذ لنفسه جسداً مساوياً لجسدنا تماماً وغلب كل ضعفات الجسد وفساده وباتحاده بنا نقل لنا غلبته.

لذلك شددّ الرب يسوع على أهمية الاتحاد به والثبات فيه، فنحن بدونه لا نستطيع عمل شيء. وهذا ما نعلنه في أوشية الإنجيل فنقول **أن المسيح هو " حياتنا كلنا، رجاؤنا كلنا، خلاصنا كلنا، شفاؤنا كلنا وقيامتنا كلنا ".**

يؤكد الرب يسوع على أهمية الاتحاد معه والتمسك به " أثبتوا فيَّ وأنا فيكم كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيَّ "(يو١٥ : ٤)

يقول القديس إيريناؤس [كيف كان يمكن أن يخلص الناس لو لم يكن الله قد صنع خلاصهم على الأرض ؟ وكيف يصل الإنسان إلى الله إن لم **يأت الله أولاً إلى الإنسان** ؟][١٠]

---

[١٠] ضد الهرطقات ٤: ٣٣: ٤

يقول القديس أثناسيوس [لذلك صار الاتحاد بهذه الكيفية : حتى يوحد ما هو بشري بحسب الطبيعة بالذي له طبيعة اللاهوت، فيصير خلاص الإنسان وتأليهه مضموناً][11]

يقول القديس أثناسيوس [إن **جسده (المسيح)** قبل سائر الأجساد قد **خَلص وتحرر (من الفساد والموت)** لكونه قد صار جسداً للكلمة ذاته، وبالتالي نحن **حين نصير جسداً واحداً معه فإننا نخلص** على مثال جسده][12]

يقول القديس كيرلس الكبير [أن **جسد بشريتنا المقدس الذي جعله جسداً له وملأه بالقوة الإلهية**، كان يمتلك الحضور الفعال لقدرة الكلمة...

كيف أن النار عندما توضع في إناء نحاس فإنها تنقل إلى الإناء قوة إنتاج تأثيرات الحرارة، هكذا أيضاً فإن كلمة الله الكلي القدرة، إذ قد وحّد الهيكل الحي العاقل المأخوذ من العذراء القديسة مع نفسه **اتحاداً حقيقياً فإنه ملأه بالقوة** التي تُظهر قدرته الإلهية بصورة فعالة][13]

---

[11] ضد الأريوسيين ٢: ٧٠
[12] ضد الأريوسيين ٢: ٦١
[13] تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس الكبير طبعة ٢٠١٦ صفحة ٩٣

يقول القديس كيرلس الكبير [هذا الجسد (جسد المسيح) لم يتقدس من ذاته، ولكن حينما صار الكلمة واحداً معه بالتجسد، فإنه **صارت له القوة الطبيعية التي للكلمة**، وصار الآن قناة الخلاص والتقديس للذين يشتركون فيه][١٤]

يقول القديس كيرلس الكبير [" خميرة صغيرة تُخمر العجين كله"(١كو٥:٦)، هكذا فإن أقل كمية من البركة (التناول من جسد المسيح) تدمج جسدنا كله معها، وتملأها بفعلها المقتدر، وهكذا يأتي المسيح ليكون فينا، ونحن أيضاً فيه. لأن المرء يمكن أن يقول بحق أن **الخميرة هى في العجين كله، وبالمثل العجين كله في الخميرة** (فلا نستطيع فصل الخميرة وحدها والعجين وحده بعد اتحادهما)][١٥]

يقول القديس كيرلس [فحيث أن الطبيعة البشرية كانت مصابة بالفساد بسبب معصية آدم، وكانت أفكارنا مُعذبة بشهوات الجسد والخرافات المغروسة فيه، كان لابد من أجل خلاصنا أن اللوغوس يصير إنساناً، لكي يجعل **جسد الإنسان الذي أخضع للفساد ومَرَض بشهوة الملذات خاصاً له**، ولكونه هو الحياة والمُحيى يُبطل الفساد الذي فيه، ويزجر الحركات المغروسة فيه، التي تدفعه لشهوة الملذات، لأنه بهذا تصير الخطية في جسدنا مائتة][١٦]

---

[١٤] تفسير إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الكبير ج٢ طبعة ٢٠١٥ صفحة ٣٨١
[١٥] تفسير إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الكبير ج١ طبعة ٢٠١٥ صفحة ٤١٥
[١٦] الرسالة الأولى إلى سوكنسوس (٤٥)

ملحق (٢)

المسيح في صلاته من أجلنا

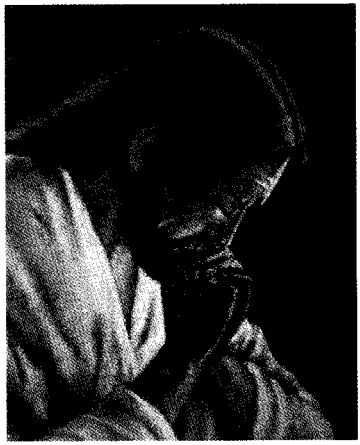

كل ما عمله المسيح في الجسد عمله بالنيابة عن طبيعة الإنسان. فالرب يسوع هو ابن الله المتجسد. هو الله الكلمة، وهو نفسه " ابن الإنسان "، الذي يمثِّل الإنسان. وهو شخص واحد، يقول القديس أثناسيوس :

[كل صلاة صلاَّها المخلص إنما قد صلاَّها **بالنيابة عن طبيعة الإنسان.. وكل ما كُتب فيما يختص بناسوت مخلِّصنا ينبغي أن يُعتبر لكل جنس البشرية**]

وكما أن الرب يسوع **لم يكن محتاجًا للعماد** لينال التبني مثلما ننال نحن بالمعمودية، فهو الابن الوحيد الحقيقي للآب. **ولم يكن محتاجًا لحلول الروح القدس** فهو واحد معه في الجوهر. **ولم يكن محتاجًا للصوم** وكذلك أيضاً **لم يكن محتاجًا للصلاة**، لكن صلاته كانت من أجلنا. فهي صلاة بالنيابة عن طبيعة الإنسان. لذلك نحن لنا نصيب في صلاة المسيح.

يقول القديس كيرلس عمود الدين [**نحن الذين كنا فيه نصلي** بصراخ شديد ودموع ونطلب أن يُبطل سلطانُ الموت].

يقول القديس كيرلس ذلك في معرض شرحه لآية بولس الرسول:" الذي في أيام جسده إذ قدَّم بصراخ شديد ودموع طلباتٍ وتضرعاتٍ للقادر أن يخلِّصه من الموت **وسُمِع له** من أجل تقواه، مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألَّم به. وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي، مدعواً من الله رئيس كهنة على طقس ملكي صادق "(عب٥: ٧-١٠).

هذه الآية مهمة، لأننا على أساسها يمكننا أن نفهم ما عمله المسيح من أجلنا سواء في صلاته أو في آلامه.

هل الرب يسوع قدَّم هذا الصراخ الشديد والدموع من أجل قضيته الفردية ؟ بالطبع لا. بدليل أن استجابة الآب – " سُمِع له " – لم تأتِ كاستجابة لقضيته الفردية، كأن يُنقَذ من أعدائه الظاهرين أو يُعفى من الصليب ! بل جاءت كاستجابة للقضية الجماعية التي كان يصرخ من أجلها، بأن نجَّى البشرية كلها من الموت اللاصق بها. فقد كان هذا الصراخ من أجل البشرية جميعها المحكوم عليها بالموت. المسيح كان آدم الجديد، نائباً عن تلك البشرية، يُمثِّلها، ويُمثِّل كل إنسان فيها. **المسيح تبنَّى قضية البشرية، اعتبرها قضيته الشخصية،** إذ كان يُمثِّلنا أمام الآب.

المسيح يحملنا فيه

القديس كيرلس يقول أننا [**نحن الذين كنا فيه** نصلي بصراخ شديد ودموع]، ذلك لأنه كان هو يحملنا سراً داخله، بالمعنى الروحي طبعاً وليس بالمعنى المادي، أي ليس أن جسد المسيح كان يحوي عشرات وآلاف بل وملايين من أجساد البشر، ولكن بالمفهوم السري الروحي، أن المسيح كان يحملنا روحياً في ذاته ويُقدِّمنا إلى الآب. والقديس كيرلس يقرِّر هذه الحقيقة

الروحية، حقيقة وجودنا السري في المسيح، مراراً وتكراراً: [**جميعنا كنّا في المسيح، والشخصية البشرية في عموميتها** كانت ترتقي في شخصه][17]

لذلك فنحن لنا نصيب في صلوات المسيح التي كان يصليها بالنيابة عنا.

كان المسيح المتجسد يحب الصلاة جداً، لماذا ؟ لأن منذ الأزل الله محبة (١يو ٤ : ١٦) فكل أقنوم يتبادل الحوار والحب منذ الأزل مع الأقنومين الآخرين. فالرب يسوع – من قبل التجسد – كانت له حوارات كلها حب مع الآب. " أني أحب الآب "(يو ١٤ : ٣١)، " الآب يحب الابن "(يو ٣ : ٣٥).

ولكن **الشيء الجديد** الحادث الآن هو أنه **يصلّي بجسده** الذي أخذه منَّا، وينطق الصلاة **بفمه وبشفتيه الجسديتَين المأخوذتَين منَّا**. كل هذا يجعل صلاته لحسابنا. وهذا ما جعل الكنيسة تعتبر أن في صوم المسيح وصلاته يوجد " **سرّ لا يُنطق به** " (ذكصولوجية الصوم وقسمة الصوم). فالمسيح كان في شخصه الواحد إلهاً وإنساناً، لذلك كانت صلاته التي يصليها وهو في

---

[17] تفسير إنجيل يوحنا – الجزء الأول – المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية – القاهرة – يو ١ : ١٤

الجسد، كمن يُمثِّل البشرية كلها أمام الله، لأنها كانت **متصلةً بكل غنى الحب الإلهي الأزلي المتبادل بينه وبين الآب** من قبل تأسيس العالم. فكانت هذه الصلاة الإلهية البشرية تُحَوِّل لحسابنا كل غنى هذا الحب الأزلي.

شاهد التلاميذ الرب يسوع وهو يصلي فاشتاقوا لهذا النوع من الصلاة فطلبوا من الرب يسوع أن يُعلِّمهم كيف يُصلُّون مثله. فقال لهم : " متى صلَّيتم فقولوا : أبانا...". بهذا يكون سلَّمهم طريقته الخاصة في الصلاة. إن كل أبرار العهد القديم يخاطبون الله ويدعونه " الرب الإله "، أو " إله إسرائيل "، أو " إله آبائنا". المسيح هو الذي أعلن لنا اسم الله الحقيقي أنه " الآب ". لقد قال في صلاته الأخيرة : " عرَّفتهم اسمك "، ما هو هذا الاسم؟ إنه " الآب "(كلمة الآب أصلها **باتير** باليونانية ومعناها الوحيد الأب The Father). فالرب يسوع عرَّفنا بأبوة الآب وبعلاقته به. لذلك فهو هنا يكشف لهم سرَّه، ويقول لهم صلُّوا مثلي. لذلك علمنا أن نصلي قائلين : " أبانا...".

سر الصلاة الناجحة التي تدخل إلى قلب الله، هو أن تكون مرفوعة عن طريق المسيح. والمسيح نفسه أوصانا أكثر من مرة أن نقدِّم صلواتنا باسمه : " الحق الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم من الآب

باسمي يعطيكم. إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً "(يو١٦: ٢٣، ٢٤، قارن يو١٤: ١٣، ويو١٥: ١٦). **هذه النوعية الجديدة من الصلاة قائمة على أساس الاتحاد السرِّي الذي أجراه المسيح في عمق كيانه بين الله والبشرية.** لأنه لا يستطيع أحد أن يدخل إلى الله بصفته " **الأب** " إلا بالمسيح (يو١٤: ٦)، **الابن الوحيد**، الذي **وحَّد في عمق كيانه اللاهوت بالناسوت، البشرية مع الله.** فأصبح هو الطريق وهو الباب الذي منه ندخل إلى الآب، والذي منه تنفذ صلواتنا إلى قلب الآب.

المسيح كان يصلِّي كشفيع ورئيس كهنة من أجلنا

المسيح لم يأتِ فقط ليكون صورة خارجية نتمثَّل بها، أو ليعلمنا الأخلاق، بل **جاء ليتحد بصميم طبيعتنا ويشفع فينا من داخل طبيعتنا الساقطة، وكأنه واحد منا يمثِّلنا ويتكلم باسمنا** أمام الآب.

يقول القديس كيرلس [نحن لا نستطيع أن ندنو إلى الله الآب سوى **بواسطة الابن وحده**،... ولذلك قال أيضاً : " أنا هو الباب... وأنا هو الطريق، لا يأتي أحد إلى الآب إلا بي "(يو١٠:٧و١٤:٦). فإنه بحق لقبه

كوسيط، وكرئيس كهنة، وكشفيع، هو يرفع إلى الآب الطلبات من أجلنا، لأنه هو نفسه دالتنا كلنا التي بها نتقدَّم إلى الآب][١٨].

فالمسيح يقول عن نفسه: " أنا هو الطريق وأنا هو الباب، ولا يأتي أحد إلى الآب إلا بي"، على أساس أنه وحَّد لاهوته بناسوته في شخصه الواحد، فهو من جهة متحد بالآب، ومن جهة أخرى متحد بنا. كما نقول في ثيئوطوكية الأحد. فهو واحد مع الآب في الجوهر بسبب لاهوته، وواحد معنا في الجوهر بسبب ناسوته، وفي نفس الوقت هو شخص واحد. لذلك **فالمسيح هو بمثابة حلقة وصل بين اللاهوت والناسوت. هذا الاتحاد العجيب الذي تم في المسيح هو الذي يجعل كل صلواتنا تنفذ إلى الآب.**

لم يكن الرب يسوع يقدِّم طلبات خاصة به هو، بل إن كل صراخ وتضرعات وأنين البشرية وضعها على نفسه ورفعها إلى الآب. وأصبح الآب مستمعاً أيضاً لكل صلواتنا نحن أيضاً حين نقدِّمها باسم المسيح، بحق الدالة التي له عنده.

---

[١٨] تفسير يو١٦: ٢٤

بقية الآية تقول: " مدعواً من الله **رئيسَ كهنةٍ إلى الأبد على طقس ملكي صادق**[١٩]". المسيح صار لقبه : " رئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكي صادق ". معروف أن **الكاهن لا يكهن عن نفسه ولكن عن الشعب**. أما رئيس كهنتنا نحن فهو يكهن عن البشرية كلها.

ويقول القديس كيرلس عن صلاة الرب في يو ١٧: إن الرب عندما طلب من الآب أن يمجِّده : " مجد ابنك "، فهو لم يكن يطلب المجد لنفسه، لأنه هو رب المجد، وهو كان ممجداً عند الآب قبل إنشاء العالم؛ وإنما كان الأمر يتعلَّق بنا، فكان يطلب ذلك لأجلنا :

يقول القديس كيرلس [فإن كان يُصرَح أنه يقتني المجد من قبل كون العالم ثم يطلبه الآن كمن لا يقتنيه، فهو إذن يفعل ذلك **من أجلنا**، وطلبتنا نحن هى التي صارت فيه، مستدعيةً المجد على طبيعة الإنسان][٢٠].

---

[١٩] كان كهنوت هارون يعتمد على الذبائح الحيوانية لكن ملكي صادق لم يقدم ذبيحة حيوانية بل قدم خبز وخمر اللذين صارا رمزاً لسر التناول في العهد الجديد. وكهنوت المسيح على طقس ملكي صادق لأنه بدون ذبائح حيوانية بل يقدم جسده ودمه في صورة خبز وخمر.

[٢٠] الكنز في الثالوث.

المسيح كان يصلّي كمن يحتوينا في نفسه

نحن هنا الذين كنّا نُصلّي من داخل المسيح. نحن كنّا روحياً في المسيح، بسبب الجسد الذي أخذه منّا. هذه الحقيقة كثيراً ما يكررها القديس كيرلس الكبير عمود الدين :

[جميعنا **كنا في المسيح، والشخصية البشرية في عموميتها كانت ترتقي فيه**][٢١].

[هو **قد حملنا بواسطة جسده الخاص، فإننا جميعاً كنا فيه** من حيث إنه استُعلن إنساناً][٢٢].

[**إننا نحن جميعاً فيه بسبب أنه صار إنساناً** ولبس نفس الجسد الذي لنا][٢٣].

[بواسطة الجسد المتحد به **كان حاملاً الجميع في نفسه**، فإننا بهذه الكيفية، نعم بهذه الكيفية، قد دُفِنَّا معه في المعمودية المقدسة وأُقمنا معه وأُجلِسنا معه في السماويات !][٢٤].

---

[٢١] تفسير يو ١: ١٤
[٢٢] تفسير يو١٦: ٥، ٦
[٢٣] الكنز في الثالوث ٢٣
[٢٤] ضد نسطور ١:١

إن معظم تعاليم القديس كيرلس الكبير نجد أصولها الأولى لدى القديس أثناسيوس الرسولي، الذي يقول في كتابه تجسد الكلمة بخصوص صعود المسيح :

[لم يكن اللوغوس نفسه هو المحتاج لانفتاح أبواب السماء...بل نحن الذين كنا نحتاج إلى ذلك، **نحن الذين كان يحملنا في جسده الخاص**][٢٥].

وكما سبق وقلنا لا يجوز فهم هذه التعبيرات بالمعنى الحرفي، كأن نتصوّر أن أجساد ملايين من الناس كانت تتزاحم داخل جسد المسيح أثناء حياته الأرضية، ولكن يجب فهمها روحياً. وكمحاولة لشرح ذلك نقول إنه كما **كنّا معتبَرين في آدم – كطبيعة وليس كأفراد** – لمَّا أخطأ، هكذا **كنّا في المسيح** في كل ما فعله لأجلنا بحسب التدبير. فنحن نقول في القداس الإلهي: [الذي جبلنا وخلقنا ووضعنا في فردوس النعيم. فلمّا خالفنا وصيتك بغواية الحية وسقطنا من الحياة الأبدية ونُفِينا من فردوس النعيم، لم تتركنا عنك إلى الانقضاء...]. نقول ذلك بصيغة المتكلِّم الجمع، مع أن الذي وُضِع في فردوس

---

[٢٥] تجسد الكلمة ٢٥: ٦.

النعيم وخالف الوصية وطُرِد هو آدم وليس نحن، ولكننا نعتبر أننا نحن كنّا في آدم – **كطبيعة وليس كأفراد** – لمّا أخطأ وطُرد من الفردوس. (لذلك نحن ورثنا عن آدم حكم الموت وفساد الطبيعة وليس خطيته الشخصية) هكذا أيضاً نعتبر أننا كنّا موجودين سرّاً في المسيح، كمبدأ ثانٍ لجنسنا، في كل ما فعله لأجلنا بحسب التدبير.

وتطبيقاً لهذا المبدأ، يقول القديس كيرلس بخصوص صلوات المسيح : [**نحن الذين كنّا فيه نصلِّي بصراخ شديد ودموع، ونطلب أن يُبطل سلطان الموت !**][٢٦].

فالمسيح كان يُصلِّي **كمن يحتوينا جميعاً في شخصه، لأنه بسبب ناسوته كان متصِّلاً في صميم كيانه بجميع أعضاء العائلة البشرية**، وكان يستقطب في نفسه جميع صراخهم، ثم بسبب لاهوته ودالته البنوية لدى الآب " سُمع له من أجل تقواه "، فبسبب اتحاد لاهوته بناسوته – وهذه هى معجزة التجسد العظمى – نال صراخ البشرية فيه استجابة لائقة بتقوى ابن الله الوحيد ! فالوحدة بين بشرية المسيح ولاهوته هى التي

---

[٢٦] عن الإيمان القويم ٤٠

جعلت لصراخ البشرية مثل هذه الاستجابة. وهذا يفسِّر لنا شغف القديس كيرلس بهذه الآية بالذات (عب٥: ٧-١٠)، لأنه رأى فيها مثالاً رائعاً للربح العظيم الذي عاد على البشرية من الاتحاد الأقنومي، الذي كان أهم عقيدة يدافع عنها هذا القديس.

قوة الصلاة المرفوعة باسم المسيح

والآن يمكننا أن نفهم لماذا يؤكِّد الرب يسوع لنا أن الصلاة باسمه تكون مضمونة الاستجابة : " الحق الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم من الآب **باسمي** يُعطيكم "(يو١٦: ٢٣)؛ " لكي يُعطيكم الآب كل ما طلبتم **باسمي** "(يو١٥: ١٦). ذلك لأن طلبنا يكون حينئذ وكأنه مختوم بختم ابن الله الوحيد، وكأنه هو الذي يُقدِّمه إلى الآب وليس نحن، وحينئذ ننال الاستجابة بحق دالته الأزلية لدى الآب، وغنى حبه الأزلي الذي يُقدِّمه للآب.

ولكن لا يجب أن يُؤخذ هذا الوعد بطريقة ميكانيكية، أي أننا بمجرد أن نقول: " بالمسيح يسوع ربنا "، يكون من حقِّنا أن تُستجاب الصلاة !! فأن نُقدِّم صلواتنا باسم المسيح معناه أن

نُقدِّمها بشخصه الذي نكون نحن متحدين به، وكأن الطلب مقدَّم منه وليس منّا. **فبدون أن تكون لنا علاقة عميقة بالمسيح لا يكون من حقّنا استعمال اسمه**، ولا ينفع مجرد النطق باسمه بشفاهنا وليس من القلب. هذه الحقيقة توضِّحها قصة في سفر أعمال الرسل: رأى مرة سبعة أولاد لرئيس الكهنة سكاوا أن الرسول بولس يُخرج الشياطين باسم المسيح، فحاولوا تقليده مستخدمين أيضاً اسم الرب يسوع في إخراج شياطين، وقالوا للشيطان: " نُقسم عليك بيسوع الذي يكرز به بولس..."، فاستهزأ بهم الشيطان وأجابهم: " أمّا يسوع فأنا أعرفه، وأمّا بولس أنا أعلمه. وأمّا أنتم فمن أنتم ؟! "(أع١٩: ١٥) ووثب عليهم وجرحهم حتى هربوا عراة ومُجرَّوحين. فاسم يسوع لا يُستعمل بدون علاقة عميقة مع صاحب الاسم نفسه. فتقديم الطلب باسم الرب يسوع معناه أن نقدِّمه بشخص الرب يسوع الذي نكون نحن متحدين به وفي علاقة حية وعميقة معه. فتصل الطلبة إلى أذن الآب وكأنها صادرة من فم الرب يسوع الذي فينا، فيستجيبها حتماً. فدورنا في الصلاة يتركّز في أن نثبت فيه وهو فينا: " إن **ثبتُّم فيَّ** وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم "(يو١٥: ٧)، أن نمسك به، أن نكون

فيه وهو فينا. هنا تصبح صلواتنا مرفوعة باسمه بالحقيقة، وكأنه هو الذي يُقدِّمها إلى الآب.

إذا نجحنا في ذلك وشعرنا بصدق أن هذا قد تمَّ، ففي الحال نحس أن صلاتنا استُجيبت.

وكنيستنا الحلوة تعرف قوة اسم المسيح لذلك تعلمنا صلاة يسوع وهى سهلة ونستطيع جميعاً أن نتمتع بها بأن نرفع قلوبنا في أي وقت ونقول " **يارب يسوع المسيح إلهي أعني** ".

كما وضعت لنا تسابيح " أبصاليات " لكل يوم من أيام الأسبوع عن قوة اسم الرب يسوع :

يوم الأحد : طلبتك من عمق قلبي يا **ربي يسوع** أعني...

يوم الأثنين : ألوف ألوف وربوات ربوات يسبحون ويمجدون **ربي يسوع**. كل من يقول يا **ربي يسوع** كمن بيده سيف يصرع العدو...

يوم الثلاثاء : تعال إلينا اليوم يا **سيدنا المسيح** وأضئ علينا بلاهوتك العالي...

يوم الأربعاء : فليفرح ويتهلل طالبو الرب الملازمون كل حين في تلاوة **اسمه** القدوس...

يوم الخميس : وأيضاً يا أحبائي فلنطرح عنا ميول قلوبنا الرديئة التي تجذبنا إلى الخطية. ولنبارك **اسم** الخلاص الذي **لربنا يسوع المسيح** بدون انقطاع صارخين قائلين. **ياربي يسوع المسيح** المولود من الآب قبل كل الدهور ارحمنا كعظيم رحمتك...

يوم الجمعة : بالحقيقة قد تقدمت إلى رأس عظيم هو **اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح. ربنا يسوع المسيح** أعطى علامة لعبيده الذين يخافونه لكي يسدوا أفواه الأسود...

يوم السبت : أعطى فرحاً لنفوسنا تذكار **اسمك القدوس ياربي يسوع المسيح** مخلصي الصالح. يباركك كل أحد السمائيون والأرضيون **يا ربي يسوع مخلصي الصالح**...

تجسد الابن الوحيد لأجلنا

من المعروف أن البابا ديسقورس قد قرأ كتاب
" تجسد الابن الوحيد " للقديس كيرلس الكبير
في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ لأنه يوضح إيمان كنيستنا
بالمسيح الواحد فلا يصح أن نقسم المسيح لإله وإنسان.
وقد رفضت كنيستنا القبطية طومس لاون لأنه يقول
" الإله يعمل المعجزات والإنسان يتلقى الإهانات ".

تقديم ومراجعة د/ وهيب قزمان
دكتوراة في العلوم اللاهوتية

موقع الكتب www.shepherdvoice.net
موقع الأفلام www.godlovesmeforever.com
صفحة facebook اسمها " صوت الراعي "

نُطلَب مطبوعات صوت الراعي من :
٠١٢٨٥٩٦٨٠٢٨ - ٠٣/٢٥٩٠٣٥٢٩